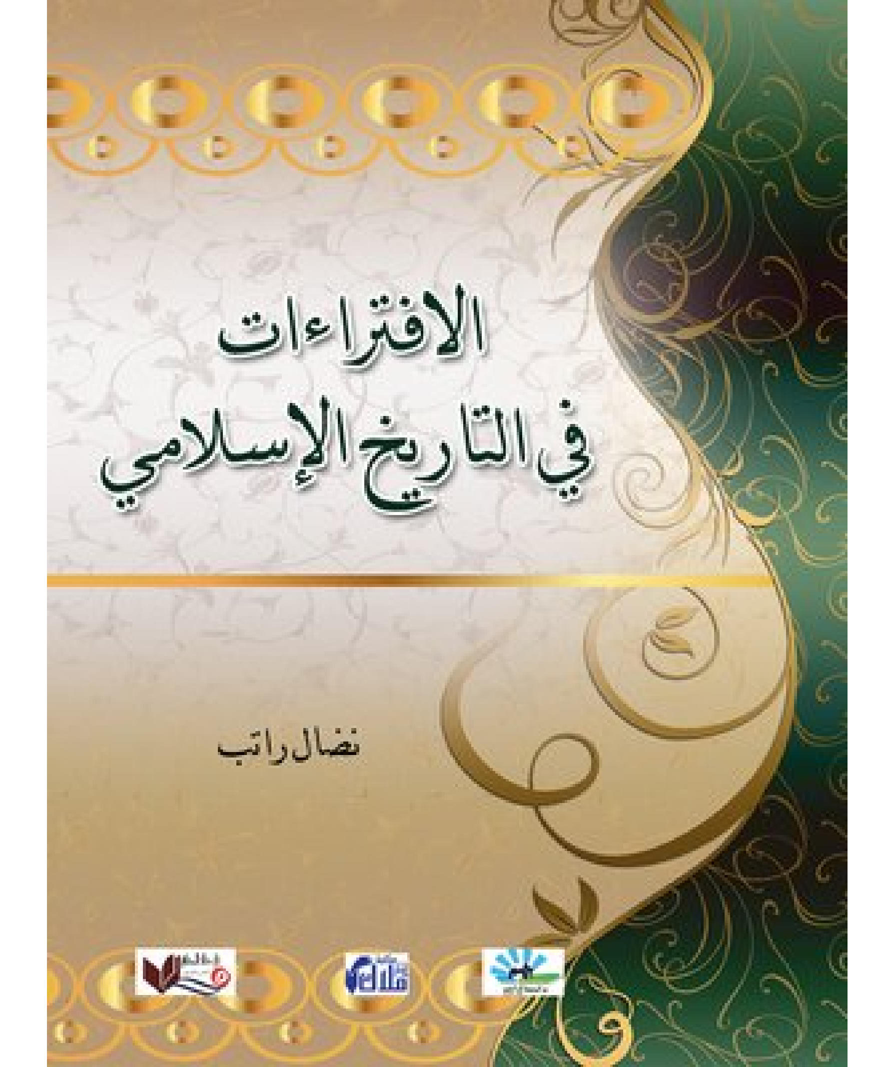

الافتراءات
في التاريخ الإسلامي
نضال راتب



الافتراءات في التاريخ الإسلامي

الافتراءات في التاريخ الإسلامي

نضال راتب

الطبعة الأولى

2016م







المملكة الأردنية الهاشمية

ررقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2016/5/547)

125.58

راتب ، نضال

الافتراءات في التاريخ الإسلامي/ نضال راتب .- عمان : دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع ، 2016

( ) ص.

ر.إ : 2016/5/457







دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية – مكة
ص. ب 21402
الرمز البريدي 21955
هاتف: 00966555008626
البريد الإلكتروني: shs1427@gmail.com

دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتوزيع
هاتف:
00962799817307
00966506744232
البريد الإلكتروني
azkhamis01@homail.com
azkhamis01@yahoo.com

مكتبة ملاك – عمان- الأردن
Amman. Jordan
Tel : +0797492021

الإهداء

إلى أمة الإسلام التي يزخر تاريخها بالعظماء الأمجاد.

إلى أمة الإسلام التي قدمت رجالاً قدموا للإنسانية كلمة الحق.



المقدمة:

كانت الافتراءات قديماً محصورة باللسان وما ينتج عنه من أقاويل وأشعار ونحوها، فتطورت الافتراءات وشاعت ويرجع هذا التطور إلى أسباب كثيرة منها: الأسباب والأغراض التي تثار من أجلها الافتراءات، فضلاً عن أهداف الدول التي ما فتئت تخصص لها الأجهزة العاملة على تنظيمها وترتيبها، حتى غدت أساساً في انتشار الجيوش وهيمنة الأمم القوية على الأمم الضعيفة، ولقد تطورت حتى غدت غزواً ثقافياً .

تعددت وسائل الدعاية وبالتالي انعكس ذلك على انتشار الافتراءات ووصولها بطرق شتى، وتقدمت وسائل الاتصالات فصار للافتراءات أقدام تسير بها، بل وأجنحة تعبر بها القارات فضلاً عن تلوث أثير الكرة الأرضية، فغدت تغزو الفضاء، فأخذت تأسر القلوب، ناهيك عن غزو الألباب؟ وصارت معول هدم سريع تفعل في نفوس الناس ما تفعل.....!

أثرت الافتراءات تأثيراً كبيراً في الأمة العربية منذ جاهليتها، فكانت محط أنظار فارس من الشرق والجنوب والروم من الشمال والغرب والجنوب على اليمن وعلى الكعبة المشرفة فهذا قبل أبرهة وما سبقه من تهويل، وهذه دولة الغساسنة

من صنع الروم، فضلاً عن المناذرة من صنع فارس، وقد رافق كل ذلك إشاعات حول الأمة العربية، وطرق السيطرة عليها.

ولما ظهر الإسلام قوة فاعلة وصار محط أنظار الروم في بلاد الشام وما رافقه من إعداد الجيوش وما ينتج عنه من معارك هزمت الروم، ومثل ذلك فعلت الفرس فكانت نتيجتها هزيمتهم في القادسية، وتطور التحفيز بالافتراءات والحرب المضادة من الروم إلى الحروب الصليبية، ولم يسكت الفرس، فهذه الشعوبية وقد عرفنا تأثيرها من قبل أبناء الفرس.

ثم تطورت الافتراءات مع كبر طمع الطامعين في خيرات هذه الأمة، فكانت افتراءاتهم تعمل بمعمول الهرم في جسد هذه الامة، حتى صرنا الى ما وصلنا إليه من تقدم قومي بعد أن كنا أمة من حدود الصين إلى المحيط الأطلسي، ثم ازددنا تفتتاً، فأصبحنا على مستويات إقليمية، ونسأل الله تعالى العلي القدير أن لا نصل في تفتتنا إلى حيث المدينة والقرية داخل الأقطار الإقليمية.

إن ما نعيشه حالياً من نعرات قبلية، أو جهوية أو فئوية لهو دليل واضح على مفعول الافتراءات، وأثرها في هذه الامة، ولذا وجب على أصحاب العقول النيرة، والنخبة المثقفة، فضلاً عن دور أولي الأمر والنهي، أن يقفوا بالمرصاد لسد أي خلل تنفذ منه افتراءات الغرب المغرضة، تلك الافتراءات التي تعمل

على تمزيق أوصالنا، وتشتت شملنا، وتفتيت عضدنا، وعلينا جميعاً التماسك والتوحد حيال كل تلك المناورات والمؤامرات التي تستهدفنا، أن نكون يداً واحدة فإن يد الله فوق يد الجماعة.

الإنسان قد يكون معرضاً للصواب والخطأ وقد يضل طريقه، واحتمالات الخطأ عند الإنسان أكثر من احتمالات الصواب. (الإنسان بطبعه ضعيف يعتريه النسيان، وقد يخضع لأنواع الشهوات والأهواء والمغريات، وقد تغلب فكره الحيل، وقد تزيف الحقائق أمام ناظريه. ولكي ينجو الإنسان من ضلال الفكر فلا بد له من المعالم الهادية والدلائل المرشدة، والبراهين الساطعة. وغاية خلق الإنسان هي عبادة الله سبحانه وتعالى، وقد بين الله تعالى مهمة الإنسان في هذه الأرض حين خلقه، وحدد غاية وجوده).

تطفو على السطح أخبار كاذبة ملفقة، وأحياناً تطفو أخبار صادقة، لكنها تحمل في طياتها أساليب التهويل والتلفيق، وقد تكون بأثواب مزركشة براقة، فتتلقاها آذان صاغية، تنقلها إلى قلوب واجفة، أبصار أصحابها خاشعة خائفة ليس من ربها، بل من مخلوقاته، فتعمل هذه الأخبار فعلها في النفوس فتحدث في هذه النفوس أمور نفسية متعبة.

وتمر الأراجيف على أصحاب النهـي والقلـوب الراسـية، فـلا تزيـدها إلا ثباتـاً، وسرعـان مـا تنقشع فلا تؤثر في أصحابها ولا تهزمهم من الداخل أو من الخارج، بـل يـشتد أزرهـا أمـام هذه الموجات المتلاحقة وتنظر إليها إنها جيوش غبارية عاصفة. كل ذلك لأن الناس يقفون من هذه الشائعات مواقف مختلفة حسب نفـسياتهم المختلفـة، وقلـوبهم المتـأثرة وغـير المتأثرة، وثقافاتهم المتباينة.

التمهيد:

لقد حاول العلم أن يتعرف إلى النفس الإنسانية، ثم وظفت هذه المعرفة في محاولة السيطرة على هذه النفس، وقد سميت هذه المحاولات في الصراع، الحرب النفسية، أو حرب المعنويات، أو حرب الكلمة، وهي ما عرفته أجهزة الإعلام باسم الحرب الباردة، (Cold War) وعلى الرغم بأن هذه الحرب لا يستعمل فيها النار، ووسائل التدمير المادية، إلا أنها الأطول والأخطر، وتعد الحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه. لكي تحطم من روحه المعنوية وتقتل الإرادة. وتعرف الحرب النفسية أو الباردة بأنها (الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتهي إليها من الإجراءات الموجهه إلى الدولة المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة الموجهة أهدافها).

كما تعرف أيضاً بأنها حدوث توتر شديد في العلاقات بين دولتين مما يؤدي إلى نشوء نوع من الحرب الإعلامية بينهما وذلك باستخدام كافة وسائل الإعلام ومحاولة تدمير الجبهة الداخلية للبلاد عن طريق الافتراءات وإيقاظ النزاعات

الاجتماعية المندثرة بالإضافة إلى التحدي الدبلوماسي والاقتصادي والتجاري بين الدولتين. والافتراءات جزء حيوي من الحرب النفسية، وهي وسيلة البلبلة في الحرب والسلم والبلبلة الفكرية والنفسية مفتاح إلى تغيير الاتجاهات [1] واللعب بالعقول ثم السيطرة وغسل الدماغ [2] .

ويجب أن نذكر أن الاتجاهات يمكن تعديلها، فيعتقد علماء السلوك الإنساني بإمكانية تعديلها. والافتراءات سلاح بين المنحرفين يستعمل للسيطرة على الاتجاهات الشعبية وزعزعة الوحدة الفكرية والانتماء والتماسك الاجتماعي.

وأما عن ديناميكية شخصية الإنسان فهي غير ثابتة، وهي متغيرة من زمان لزمان، ومن حالة إلى حالة، ومن موقف لموقف، وهذا التغير لا يعني أن تفقد الشخصية نوعاً من الثبات النسبي، (نحن في العالم الإسلامي نتعرض لأخطر حرب نفسية وأكثرها تركيزاً وشراسة، كوننا حملة الرسالة الخاتمة، ولكوننا أصحاب أعظم ثروات ينتظر لأصحابها إن هم تحركوا في الاتجاه السليم أن يسودوا العالم. ولذلك شنت هذه الحرب لتهديم النفوس، وشل الإرادات).

---

[1] الإتجاهات تعكس كيفية شعور الفرد أو حكمه على شيء أو شخص ما . ومصادر الاتجاهات هي: الأسرة، والتنشئة الاجتماعية، والرفاق والجماعات والمؤسسات التربوية التعليمية والتعاليم الدينية وكذلك الخبرات السابقة.

تعرضت أمتنا العربية والإسلامية عبر تاريخها الطويل لغزوات وهزات وحملات، استهدفت استلاب أرضها، وإركاع شعبها ومصادرة هويتها بـدءاً مـن الفـرس والـروم والمغـول والتتـار والصليبيين. إلى الأتـراك العثمانيـين؛ إلى الأوروبيـين مـن المـستعمرين وانتهـاء بـالغزاة مـن الصهاينة والصليبيين الجدد.. وحملاتهم المدججة بكافة أسلحة العصر ما تـزال ماثلـة أمـام أعيننا اليوم.. كذلك أيضاً فإن الثقافة العربية والإسلامية – التي هي عنوان هويتنا القوميـة – كانت بدورها وجهة سهام الغزاة جميعهم بغيـة تـذويب الشخـصية العربيـة ومـصادرة الانتماء العربي، وتجزئة العروبة وتفكيكها إلى عناصر قطرية ضيقة بشكل يسهل فيـه عـلى الغزاة ابتلاع الأرض العربية وقضمها وهضمها على مراحل، واقتلاع الوجود العـربي ونـسف الانتماء إليه من الجذور مع تغيير كافة ملامح ومعـالم الشخـصية العربيـة والـتراث العـربي الإسلامي.. وإذا كان الاجتيـاح العـسكري يهـدف إلى الاسـتيلاء عـلى الأرض والـثروات، فـإن الاجتياح الثقافي يهدف إلى الاسـتيلاء عـلى الـروح والعقـل.. وفي المحـصلة اغتـصاب الهويـة القومية والإسلامية، جنباً إلى جنب مع اغتصاب الأرض والأجساد. على أن الاجتيـاح الثقـافي قد يسبق الاجتياح العسكري.

كذلك فإن اليهودية قد أعلنت الحرب على الإسلام مع بدء دعوت النبي العربي محمد صلى الـلـه عليه وسلم، ولما فشلت اليهودية في وقف انتشار الإسـلام وتعاظمـه لجـأ دهـاقنتهم وخبثاؤهم إلى النفاق و المكـر والخديعـة بغـرض اخـتراق الإسـلام مـن الـداخل، فـأظهروا الإسلام، وأبطنوا الـشر بـه وبتعاليمـه، ومزقـوه إلى فـرق دينيـة ومـذاهب سياسـية بغـرض تفريغه من مضمونه الثوري والحضاري الإنساني، مما ترك آثاره السلبية ليومنا هذا.

ولقد عبث أعداء الإسلام بتاريخ أمتنا ورجالها العظام عبثاً كبيراً، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في معظم ما كتب ويكتب حول تاريخ الإسلام وسير أعلامه.

فهذا الأمير بهاء الدين قراقوش من أبطال الإسلام تعرض لمقـولات وأكاذيـب، تتنـاقض كـل التناقض مع سيرة هذا البطل العظيم من أبطال الإسلام كانت له صفحات منيرة في تاريخها المشرق مما جعله محط مؤامرات أعداء الإسلام وكيدهم. فيجـب إعـادة النظـر في إعلامنـا والإعلام الغربي فيما ينشر ويبث حول الإسلام والمسلمين .

الفصل الأول

الإعـــــلام



أولاً: ماهية الإعلام :

يلعب الإعلام بصفة عامة ، والإعلام المتخصص بصفة خاصة من دور فاعل في مواكبة التحولات والتغييرات والأحداث التي يشهدها العالم كل يوم ، حتى بات هذا الدور من أخطر وأهم الأدوار خاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه الإعلام وسيلة رئيسة من وسائل التحكم ومظهراً من مظاهر القوة والسيادة ، بعد أن تطورت نظم ووسائل الاتصال في هذا العصر الذي يمكن أن نطلق عليه عصر الاتصال والمعلومات [3] .

يعد الإعلام في هذا العصر عصب الحياة ، فهو الذي يبرز صورة المجتمعات ، ويرصد التطورات التي تحدث في هذه المجتمعات من النواحي كافة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وله الدور الذي لا ينكر في إيضاح الوجه الحضاري للأمم والشعوب ، بالإضافة إلى دوره في نشر المعرفة والثقافة بين طبقات المجتمع المختلفة [4] .

[3] عليوة ، السيد ، استراتيجية الإعلام العربي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م.

[4] شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.

يعتبر الإعلام أحد المحاور الرئيسة التي شغلت بال الكثير من المفكرين، المربين والمختصين في العلوم الاجتماعية، وهو أحد الدعائم الاستراتيجية لبناء مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لكل المجتمعات [5].

مفهوم الإعلام :

أ) لغة : يتقارب معنى الإعلام مع معنى الدعوة والتعليم، فالدعوة لغة النداء والإعلام والإبلاغ. والداعية : هو كل من يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، وإذا كان التعليم مشتقاً من عَلِمَ، يقال : (عَلِمَه كسَمِعَه عِلْماً بالكسر بمعنى عَرَفَهُ وعَلِمَ هو في نفسه). فإن الإعلام مشتق من أعْلَمَ الرباعي ومصدره إِعْلام، بمعنى الإخبار، وعلى هذا فإن التعليم والإعلام أصلهما واحد، وهو الفعل : عَلِمَ؛ إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم. وإذا كان معنى الإعلام يشترك مع معنى الدعوة والتعليم في الدلالة على هدى أو ضلالة مما يقع في نفس المتلقي، ويتبعها في الوظيفة الثقافية والتربوية ـ فإنه مع التقدم الصناعي الحديث وإنتاج وسائل ذات تأثير سريع

[5] النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، 1996م.

مثل الصحافة والمذياع والمرئي وما يسمى بالإنترنيت ـ استقل بمسمى خاص ووظيفة خاصة، وصار يشارك الدعوة والتعليم في الهدف والغاية [6].

ب) اصطلاحاً : لم يقتصر المعنى الاصطلاحي للإعلام على المعنى اللغوي وهو مجرد الإخبار والتبليغ بوجه سريع؛ بل تجاوزه إلى معنى يتناسب مع وظيفته الحديثة، وهو التعبير عن ميول الناس واتجاهاتهم وقيمهم؛ بحيث يمكن تعريفه بأنه : نشر للمعلومات والأخبار والأفكار والآراء بين الناس على وجه يعبر عن ميولهم واتجاهاتهم وقيمهم بقصد التأثير [7].

وإذا كان هذا التعريف قد ركز على المضمون دون الوسائل؛ فلأن المضمون هو الذي يعبر عن شخصية الإعلام، أما الوسائل من صحافة وكتابة وإذاعة ومرئي وغيرها فهي : (عبارة عن قنوات يمر منها المحتوى لا أكثر؛ إن أُحْسِن استخدامها أعطت النتائج المحمودة، وإن أُسيء استخدامها أعطت النتائج المذمومة، ولا ذنب عليها والتبعة تقع على من استخدمها) ، ووفق هذا المعنى

[6] شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
[7] عبد الدائم، عبد الله، الثورة التكنولوجية في التربية العربية، بيروت، ط3، دار العلم للملايين، 1981م.

يمكن تعريفها بأنها : أدوات صناعية تقوم بنقل المضمون في آن واحد أو على التدريج لمجموعة واسعة من الأفراد[8].

ج) أهمية الإعلام : استعمل الإنسان بعفوية الوسيلة الإعلامية منذ القدم، وكان اللسان وسيلته الإعلامية الأولى في الإخبار والتصوير والتفاهم والإقناع عن طريق الخطبة والقصيدة والقصة والكتاب، واليوم تجسد الإعلام في وسائل تقنية متطورة، ضاعفت من سرعته وفاعليته وتأثيره من خلال الهاتف والحاسب والأقمار الصناعية ووكالات الأنباء والمطابع ودور النشر والتوزيع والإعلان بالصورة العادية والملونة الناطقة والمتحركة، وتأتي أهميته من النواحي الآتية [9]:

ـ أنه قوة مؤثرة في تكوين الإنسان : فهو ذو شأن في توجيه الميول والمشاعر وتنمية القدرات والمواهب، وفي إعداد الروح والعقل وبناء الجسم، ولا سيما إذا كان القائمون عليها خبراء وأخصائيين في التوجيه في علم النفس والتربية والإعلام، وبارعين في استخدام الوسائل الإعلامية والتحكم في درجات تأثيرها، ذلك أن الإنسان في نظر الإعلام يتغذى بالخبر، وينمو بالفكر، ويتعافى

[8] فلاتة، مصطفى محمد عيسى، الإذاعة السمعية وسيلة اتصال وتعليم، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود 1997م

[9] جاد ، سهير ، البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1987م.

بالمعلومة، وهذا يوضح أهمية الإعلام في تكوين الإنسان وصياغة شخصيته وإعداد جوانبه إعداداً سليماً.

ـ أنه قناة حضارية سريعة التأثير في المجتمعات : فهو رمز من رموز التحضر والتقدم في مقياس الأمم والمجتمعات، وسبيل الدولة الحديثة في إظهار مبادئها وقيمها ومنجزاتها، وأداتها في توجيه شعبها لبلوغ أهدافها وآمالها، ووسيلتها في بناء حضارتها، وتربية الأجيال القادمة على عينها، فإن الإعلام على اختلاف طرقه ووسائله بات يمارس عملية مهمة في حياة الأمم وحضارة الشعوب، لا يكاد يسلم من تأثيره سلبا أو إيجابا فرد أو مجتمع أو دولة.

ـ أنه سبيل الأمة في التأكيد على هويتها : فمن المؤكد أن لكل أمة من الأمم مبادئ وقيما ومفاهيم خاصة بها، تمثل شخصيتها الظاهرة، وتعبر عن نظرتها إلى الحياة، وتنم عن تصورها للوجود، فتحرص على استمرارها، والمحافظة عليها، ووقايتها من عوارض الزمن، وصراع الأفكار، والإعلام هو مرآة أي أمة، وأداتها في نشر مبادئها وقيمها ومفاهيمها، "فما انتشرت ثقافة أمة في عصرنا الحاضر ولا قيمها إلا بقوة إعلامها وإرادة إعلامييها وسعة أفقهم، وما تراجعت ثقافة وانزاحت إلى الهامش إلا بضعف وسائلها الإعلامية وضحالة إعلامييها وفتور همتهم"، فالإعلام وسيلة ناجحة في نقل القيم والمبادئ

والمفاهيم إلى الآخرين، وصياغة المجتمع على وفقها، وتنشئة الأطفال عليها، وتأكيد ذلك.

مفهوم "الإعلام" يحمل في بنيته المعرفية مستويات عدة من التحليل [10]:

أ) الإعلام كفلسفة، وهنا نجد أن كل حضارة في القديم و الحديث تضمنت فلسفة إعلامية عن ما ذا تعلم وكيف.

ب) الإعلام كحرفة وممارسة وهنا نشير إلى فنيات تحريك ما يحدث في المجتمع من نشاط أيا كان باستخدام وسيلة الصحيفة أو الإذاعة أو التلفزيون أو الإعلام الآلي والوسائل التكنولوجية الحديثة الأخرى.

ج) الإعلام كعلم وتخصص يسعى إلى سن ضوابط و قواعد تحمل بعض الثبات النسبي في تفسير و تحليل الأداء الإعلامي في هذا المجتمع أو ذاك انطلاقا من الإعلام كفلسفة في اتجاه الإعلام كممارسة في صيرورة دينامية متجددة.

وتاريخيا، فقد تطور الإعلام من سيادة الرسالة كما حال الحضارات السابقة إلي طغيان الوسيلة في المجتمع التكنولوجي، وهو ما أثر بدوره علي طبيعة

---

[10] بدر ، أحمد ، الإعلام الدولي ، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ، القاهرة ، بدون دار نشر ، 1977م.

التخصص[11]. . بدأ الإعلام كتخصص أكاديمي بارز بعد الحرب العالمية الأولى [12] بأمريكا. وقد ظهر في فترة مابين الحربين نخبة من الرواد الإعلاميين الذين أرسوا بأبحاثهم المتميزة أسس التخصص، وبدأ التكوين الإعلامي في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية [13] متأثرا بنموذج لاسويل [14] إن صح هذا

[11] عليوة ، السيد ، استراتيجية الإعلام العربي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م.

[12] الحرب العالمية الأولى: (1914/7/28-1918/11/11م) كانت تعرف بالحرب الكبرى حتى نشوب حرب 1939م، نشبت بين المانيا والنمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية من جهة، والحلفاء فرنسا وإنكلترا وروسيا وبلجيكا واليابان، والولايات المتحدة في المرحلة الأخيرة ، من جهة ثانية . أسبابها عديدة منها: نزعة ألمانيا إلى التوسع والاستعمار، ظهور تحالفات جديدة في أوروبا قلبت المواقف أهمها بين انكلترا وفرنسا، حروب البلقان وبروز القوميات فيه ونضال شعوبه لنيل الاستقلال مع بداية انحلال الإمبراطورية العثمانية، حركة تركيا الفتاة، تنافس روسيا مع النمسا والمجر في حماية الأقليات، أما السبب المباشر فكان اغتيال الأرشيدوق فرنسوا فردينان ولي عهد النمسا في سار ايغو بيد أحد الوطنيين الصرب ، فعزمت النمسا على ضرب النزعة القومية في البلقان والقضاء عليها بإعلان الحرب على صربيا. وما لبث أن تداخلت التحالفات واشتعلت الحرب في جميع أنحاء أوروبا وامتدت إلى تركيا والشرق حيث قامت الثورة العربية، وشملت بحار العالم. اشتهرت بحرب الخنادق وتطور أساليب القتال من مدفعية وغواصات، أدت إلى اندحار ألمانيا وخسارتها مستعمراتها في افريقيا وتخليها عن الألزاس واللورين، وتفكك إمبراطورية النمسا والمجر، وظهور دول جديدة في أوروبا الوسطى، وزوال الإمبراطورية العثمانية، وإنشاء عُصبة الأمم، فاقت كل ما سبقها من الحروب هولاً وتدميراً. اشترك فيها 65 مليون مجند. القتلى نحو 9 ملايين من العسكريين منهم 1.950.000 ألماني، 1.700.000 روسي، 1.390.000. ويقدّر عدد الضحايا المدنيين بعشرة ملايين عدا المشوهين.

[13] الحرب العالمية الثانية: (1939/9/1-1945/9/2): نشبت بين قوات المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة، والحلفاء فرنسا وانكلترا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والصين من جهة ثانية. من أسبابها إرهاق الاقتصاد الألماني بتعويضات الحرب العالمية الأولى مما أدى بطريقة غير مباشرة إلى ظهور النازية ودكتاتورية هتلر ومطالبته بمدى حيوي أوسع وتحالفه مع دكتاتورية إيطاليا واليابان في محور اتصف بسياسة عدوانية توسعيّة. ومن الأحداث التي سبقت الحرب وكشفت عن عجز عصبة الأمم حياليها: ضم اليابان لمنشوريا 1932م، واقتطاعها أقساماً من الصين واندلاع الحرب بين الدولتين 1937م، اجتياح إيطاليا لأثيوبيا 1935م، احتلال هتلر لرينانيا 1936م وضمه النمسا 1938م، وغيرها من الدول، وأخيراً اتفاقه مع السوفيات وغزو بولونيا أول أيلول 1939م مما أشعل الحرب التي امتدت إلى أنحاء العالم. تعدت خسائر

التعبير ثم ظهر هذا التخصص في بعض البلدان النامية [15] ابتداء مـن الـستينيات و الـسبعينيات من هذا القرن متأثرا بهذا النموذج أو ذاك[16]

ثانياً: مفهوم الإعلام والتقنية [17]:

بشكل عام يمكن أن نعتبر أن الإعلام هو عبارة عن نشاط إنساني يهدف إلى التواصل مع الآخرين والتأثير فيهم والتأثر بهم عبر وسائل اتصال محددة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نحدد الأركان التالية للإعلام :

1- المادة الأولية(خبرـ موضوع ـ فكرة.....الخ).

الحرب العالمية الأولى وفاقتها ضراوة. أدت إلى اندحار دول المحور الثلاث ومقتل هتلر وموسوليني وتقسيم المانيا وطرد اليابان من منشوريا والصين وكوريا. نتج عنها إنشاء منظمة الأمم المتحدة واستقلال غالبية المستعمرات. تميزت بظهور أسلحة جديدة، طائرات وصواريخ ودبابات وأساطيل بحرية ورادار.

[14] لاسويل (هارولد) : (1902 – 1978) : عالم اجتماعي أميركي . درس تأثير أجهزة الإعلام على تكوين الرأي العام ، طرح الأسئلة التالية : (من يقول ، ماذا يقول ، بأية وسيلة ، لمن ، وبأي قصد ؟).

[15] الدول النامية : هي الدول المتخلفة وتسمى دولاً نامية فقط من باب المجاملة الدولية . وهي الدول التي تعتمد في تأمين معظم إحتياجاتها على الإستيراد من الخارج بحكم أن صناعاتها مازالت محدودة أو في مرحلة الإنشاء والتطوير ، كما أن إقتصادها بطئ الإزدهار – ماعدا الثروة المعدنية والبترول – بالإضافة إلى كون سكان هذه الدول لم يبلغوا مرحلة النضج الثقافي والسياسي والتخصص العلمي ولم يستطيعوا إستيعاب الحضارة العصرية . هذا ، وتستعين هذه الدول بالخبراء الأجانب لوضع المخططات الخاصة بالاقتصاد والأمن والشئون العسكرية ، بل والتعليمية أحياناً ، ويمثل سكان الدول النامية مايقارب نسبة 70% من سكان العالم موزعين في 100 دولة تقريباً .

[16] بدر ، أحمد ، الإعلام الدولي ، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ، القاهرة ، بدون دار نشر ، 1977م.

[17] جاد ، سهير ، البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1987م.

2- العنصر البشري (الفاعل والمنفعل)، لأن الإعلام هو عبارة عن نشاط إنساني يهدف إلى التأثير والتأثر.

3- العنصر الآلي: الوسيلة الإعلامية أوتقنية الإعلام.

والتقنية هي عبارة عن الآليات والوسائل التكنولوجية وتعني في مجال الإعلام وسائل الإعلام باختلاف أنواعها بدءاً من المحادثة وانتهاء بالأقمار الصناعية.

ثالثاً : وسائل الإعلام " تقنيات الإعلام " :

مارست المجتمعات القديمة نشاطاً إعلامياً محدداً، واستخدموا وسائل معينة نذكر منها : (التجارة ـ البعثات الدينية [18] ـ المناداة ـ استخدام وسائل المناداة

[18] أخذت أوروبا تغزو العالم الإسلامي في أواخر القرن السادس عشر الميلادي عن طريق التبشير، ورصدت لذلك الأموال الضخمة، وأقامت مركز لذلك في جزيرة مالطة، ومنها بدأ التبشير يمتد إلى بلاد الشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي. على ما يُسهل لهم مهمتهم، فقد كان التبشير مقدمة وتمهيداً لبسط المستعمرين نفوذهم على منطقة العالم الإسلامي.
واستخدمت الدول الأوروبية الاستعمارية بالتبشير وسيلة من وسائل الغزو الفكري والحضاري، باسم العالم والإنسانية.

- وأما عن الطرق والوسائل التي اتخذتها حركة التبشير لتحقيق أهدافها في نشر ثقافة الغرب ما يلي:

أ- التعليم: أنشأ المبشرون المدارس على اختلاف مراحلها والمعاهد والكليات الجامعية في الدول الإسلامية.
والتعليم في رأي المبشرين، أثمن الوسائل لنشر الفكر الغربي بين أبناء المسلمين. وذلك بنشر أفكارهم العامة وثقافتهم من خلال المناهج الغربية التي يدرسونها لأبناء المسلمين. ويقول كبير المبشرين: (صموئيل زويمر) مُخاطباً المبشرين في مؤتمر خاص: (أن مهمة التبشير التي ندبتكم الدولة المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طلائع الفتح الاستعماري في الممالك

الإسلامية، وهذا ما قمتم به خير قيام. وكما يقول أحد المبشرين عن أهداف هذه المدارس والكليات: (أن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد كان دائماً متشابها، إن المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى وسيلة لتحقيق أهداف التبشير حتى أن الموضوعات العلمية البحته التي تعلم من كتب غربية وعلى أيدي مدرسين غربيين تحمل من الآراء التبشيرية.

وتقول المبشرة (أنا فيجان) إن المدارس التبشيرية في بلاد العرب والمسلمين أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم.

ب- إقامة المستشفيات والعيادات الطبية، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني:

بعد استعراض الوسيلة التي اتخذها المبشرون لتحقيق أهدافهم ألا وهي التعليم، فلم يتوقفوا عند ذلك، بل كانت لهم وسائل مختلفة منها إقامة المستشفيات والعيادات الطبية، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني، إذا استغل الآم البشر، وسخروا الطب في سبيل غاياتهم. وبذلك يكون المبشرون قد اتخذوا الطب يتقربون به من المريض.

ج- استخدام وسائل الإعلام المتوافرة، وتأليف الكتب، واستخدام الصحف والمجلات، وإنشاء المكتبات ومراكز المعلومات:

لقد استخدم المبشرون في عدد من بلاد المسلمين وسائل الإعلام المتوافرة لنشر أفكارهم وآرائهم في أوساط الناس فألفوا الكتب، واستخدموا الصحافة والنشرات وذلك لنقل صورة الثقافة الغربية المختلفة وتزيينها عند أبناء المسلمين. كما أسسوا دور النشر لترويج الكتب التي تدعوا إلى فكرهم وحضارتهم وتحقيق أهدافهم.

د- انتشار الجمعيات والنوادي:

أسس التبشير أيضاً النوادي والمراكز. إذ ينظم المبشرون المخيمات الكشفية للذكور والإناث، واستخدموا الإحسان والبر والعطف على المحتاجين، ورعاية ذوي الحاجات الخاصة، وسيلة للاتصال بالمسلمين والعيش معهم، وبث ما يشاءون من اتجاهات الحياة الغربية و أفكارها لإشاعة أن الإسلام عاجز عن تأمين حاجات أبنائه .

- آثار التبشير: للحركة التبشيرية آثاراً عميقة في الحياة الإسلامية منها:

1. تعظيم الحياة الغربية، واتباع أنماطها بوصفها سبباً للنهضة،وإشاعة أن الإسلام عاجز عن مواكبة الحياة الحاضرة .

2. إضعاف الروح الإسلامية لدى الناشئة، وقبول الأفكار الغربية والمبادىء الوافدة، فانتشرت بين المسلمين الافكار المادية والشيوعية والإلحادية، وصار أبطال الغرب محط أنظار بعض أبناء المسلمين وقدوتهم. ونسوا أنهم أمةٍ يزخر تاريخها بعظماء أمجاد قدموا للإنسانية الكرامة والسعادة. ونسوا أنهم من أمةٍ أعطت شعوب الدنيا دروساً عملية في احترام كرامة الإنسان، تسودهم المحبة وينعمون بالحرية.

3. تشويه التاريخ الإسلامي. وسير الخلفاء المسلمين، وإظهار حركة التاريخ الإسلامي بأنها حروب وخلافات وفتن وثورات وصراع على الحكم وظلم للرعية، ولجأ المبشرون في هذا الصدد إلى تضخيم الأخطاء التي وقعت، وتصدير بعض الخلفاء بأنهم غارقون في اللـهو والعبث والمجون.

كقــرع الطبــول ـ الأعيــاد والنــدوات ـ القــصائد الــشعرية ـ الإشــاعة [19] - الوســائل

التعبيريــة كالكتابــات والنقــوش والرســوم... الــخ . وقــد شــهدت هــذه المجتمعــات

4. الطعن في الإسلام ورسوله (ﷺ). وصدق نبوته، ونشر الأفكار المضللة، كقولهم: إن الإسلام انتشر بالسيف والإكراه. وهذه كلها ليست أكثر من إشاعات تهدف لتشويه سمعة الإسلام.

[19] الإشاعة :لغوياً: الإشاعة من الفعل الماضي شاع بمعنى تفرق، وشاع الشيب إذا ظهر وتفرق، وشاع الخبر في الناس إذا انتشر وافترق وذاع وظهر وشاع في الناس: إذ اتصل بكل واحد ما سوى علم الناس به وإشاعة الأخبار المنتشرة.

اصطلاحاً: عبارة عن نشر خبر قد يكون صادقاً فيعرفه من كان يجهله أو كاذباً لتحقيق هدف خاص فيعتمد بصحة طبقة من الناس.

وقد عرفها أحمد إسماعيل أبو مشرف بأنها: الإشاعة عبارة عن كلام صادر من جهة ما يقصد به نشر أشياء موجودة فعلاً، وغير مرغوب بسماعها، وإظهار شيء بأفضل، وتعميمها على البسطاء من الناس لتتداول بشكل عفوي، حتى تصير كلاماً موثوقاً به ويصدقه حتى مروجي الإشاعة.

وعرفها أو لبورت (كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق، تتناقل من شخص إلى شخص، دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق).

ويعرفها صلاح نصر: هي اصطلاح على رأي موضوعي مفيد كي يؤمن به من يسمعه، وهي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل.

أو هي الأحاديث والأقوال والأخبار التي يتناقلها الناس، والقصص التي يرويها دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها.

فالشائعة التي تنقل عن طريق الأفراد والصحف والمجلات التلفزيون أو أجهزة الإعلام الأخرى قد تكون سليمة تحمل آمالاً طيبة للمستقبل وقد تكون مدمرة تحمل الكراهية مستخدمة في ذلك أنسب الظروف لظهورها.

هناك من يصف الإشاعة بأنها لا تقل خطورة عن ترويج المخدرات، فكلاهما مروجان يستهدفان قتل النفس، وشل الفكر، وتدمير الإرادة، وتحطيم المعنويات، والنيل من سلامة الأبناء الذين يشكلون تماسكاً صلباً للجبهة الداخلية وكلاهما يستهدفان تحقيق أغراض دنيئة، وأهداف يقصدون من ورائها الهدم ومن الأمثلة على ذلك الغزو الغربي الموجّه للعالم الإسلامي التي عملت على إخراج المسلمين من الإسلام لإضعاف العقيدة في نفوسهم ، ليحل محله البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته، وكذلك تقبل نمط الحياة الغربية.

ومن صفات الشائعة التناقض، فقد تبدأ على شكل حملات هامسة، أو تهب كريح عاصفة عاتية، وتهتم الشائعة عادة بموضوع معين، والاهتمام به يكون مؤقتاً، فهي تروج في الظروف الملائمة للموضوع ثم تنتهي

أشكال عديدة لوسائل الاتصال والإعلام نذكر على سبيل المثال، أنه في عهد يوليوس قيصر [20] في روما تم تأسيس " الأعمال اليومية " وهي أول نشرة رسمية تعلق في ساحة الفورم وتحمل للمواطنين أخبار الدولة الرسمية. وتطورت وسائل الإعلام مع تطور الحياة الإنسانية، فظهرت الكتب والرسائل ثم الصحافة... الخ [21] .

في الوقت الحاضر هنالك وسائل إعلام لا حصر لها، وقد وصلت بعضها إلى درجة متطورة جداً من التعقيد والدقة والسرعة كالأقمار الصناعية ووسائل الاتصال بالكون الخارجي " خارج نطاق الكوكب الأرضي "، وبشكل عام يمكن تقسيم وسائل الإعلام إلى قسمين [22] :

بموتها ودفنها، على انه من ناحية اخرى قد تعاود الظهور مرة أخرى إذا ما وجدت الأرض الخصبة المناسبة ويجب أن نفرق بين الخبر والشائعة، فالخبر يعتمد على البراهين والدلائل، أما الشائعة فإن برهانها غير واضح. فالخبر يعتبر خبراً صحيحاً ولكن حينما يبدأ نقل الخبر بين الأفراد مبتعدين عن حقيقة ما جاء به، فمن هنا تبدأ الشائعة بالظهور ويستمر ترديدها دون برهان ولا دليل، حتى لا يكاد يصدقها الكثير من الناس الأمر الذي تأخذه في النهاية أسلوباً معيناً في الترويج.

والشائعات يتناقلها الناس همساً أو علانية إلى أن يعرفها الجميع في النهاية. والشائعات تروج عندما تكون للأحداث أهمية في حياة الأفراد أو عندما لا ترد عنها أخبار قاطعة، أو عندما تكون الأخبار غامضة.

[20] قيصر يوليوس : (101 – 44 ق . م) من كبار رجال الدولة والقوّاد في روما والعالم . ألف المثلث الأول مع بومبيوس وكراسوس 60 ق. م . انتخب قنصلاً 59 و 56 . فتح غاليا 58 – 51 . وعاد إلى روما ففرض حكمه الفرد عليها رغم الحرب الأهلية .

[21] مهنا ، محمد نصر ، العلوم السياسية بين الحداثة والمعاصرة ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2002م.

[22] حتي، ناصيف، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م.

1- وسائل إعلام رئيسة (أساسية) : وتشمل : الصحافة ـ الإذاعة ـ التلفزيون ـ المحطات الفضائية ـ شبكات الانترنت ـ وكالات الأنباء ـ... الخ .

2- وسائل إعلام ثانوية : وتشمل : السينما ـ المسرح ـ الكاسيت ـ أقراص الكمبيوتر ـ الملصقات ـ اللافتات ـ الصور ـ الكتب ـ... الخ .

" تكنولوجيا الإعلام في المجتمع الحديث نهر عظيم يغذي الأرض التي يلتمسها متبعاً خطوط التضاريس الحالية لكنه يمهد الطريق للتغيير على مدى طويل... " .

يلمس الإعلام جوانب متعددة ويعالج قضايا وموضوعات متفرقة، وهنالك وسائل متعددة للإعلام، فكيف يمكن أن نختار الوسيلة المناسبة التي تجعل إعلامنا ناجحاً ؟ لتحديد وسيلة الإعلام المطلوبة يجب الأخذ بعين الاعتبار عدة عوامل أهمها [23] :

1- الموضوع : وهنا يجب أن نجيب على : ماذا نريد أن نعلم هل هي (فكرة ـ مبدأ ـ خبر ـ دعاية لمنتج ـ... الخ) .

---

[23] مهنا ، محمد نصر ، العلوم السياسية بين الحداثة والمعاصرة ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2002م.

2- المدى : إلى من نريد توجيه الإعلام ؟ هل الإعلام على مستوى فردي، محلي، وطني، إقليمي، دولي ؟ هل هو موجه إلى أشخاص محددين، فئة محددة، أم إلى العموم ؟.

3- الظروف المحيطة: ويقصد بها الظروف التاريخية والمرحلية التي نمر بها، ويمر بها الوسط من حولنا والواقع ضمن المدى الذي نريد إعلامه، وكذلك الظروف والأحوال الطبيعية والجوية .

4- الهدف : ما الذي نريده من الإعلام ؟ هل نريد نشر فكرة أو مبدأ؟ هل نريد الحصول على تضامن وتأييد؟ هل نريد توضيح أو تفسير موقف؟ هل نريد نشر الذعر والخوف... الخ ؟.

5- الإمكانيات المتوفرة : ويقصد بذلك الإمكانات المادية والتقنية والبشرية المتوفرة لدينا .

6- المجال الزمني : ويقصد به فترة استمرارية العمل الإعلامي وسرعة النشر .

إن لتحديـد وسـيلة الإعـلام دوراً جوهريـاً في نجـاح العمـل الإعلامـي.

رابعاً :عوامل نجاح الرسالة الإعلامية[24] :

يمكن تلخيص اهم عوامل نجاح الرسالة الإعلامية في إطار بعدها التأثيري على المستقبل ،بمايلي:-

1- التناغم او التشابه والمشاركة في الخبرات والصور لدى كل من المرسل (الإعلامي) والمستقبل(الجمهور)بما يكفل فهم الرموز ومعرفتها والاستجابة لها.

2- استثارة انتباه المستقبل،واستعمال رموز مفهومة.

3- ربط الرسالة الاعلامية بحاجات المستقبل مع اقتراح حلول مشبعة لها، بشرط الا تتنافى مع العادات والتقاليد والقيم والمعايير الاجتماعية.

4- مراعاة الحالة النفسية للمستقبل ومراعاة الدقة في اختيارا لوقت المناسب والمكان الملائم والوسيلة المجدية حسب نوع وقدرة المستقبل.

5- الاهتمام باستعمال الالفاظ وتقديم الصور التي يستطيع المستقبل فهمها والاستجابة لها حسب اطاره المرجعي وخلفيته الاجتماعية والاقتصادية.

6- التخلص من عوامل التشويش التي تقف في سبيل التفاهم بين المرسل والمستقبل (ومن امثلة ذلك صعوبة فهم الرسالة الاعلامية او سرعة تقديمها او انعدام وسيلة نقلها...الخ) [25] .

---

[24] خليل ، بكري محمد ، الفكر القومي وقضايا التجدد الحضاري ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 20004 م.

[25] عليوة ، السيد ، استراتيجية الإعلام العربي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م.

لذلك يجب على الإعلام العربي أن ينطلق نحو الأسس التالية[26] :

1. الالتزام بالإسلام وتصوراته الكاملة للكون والإنسان والحياة .

2. الارتباط الوثيق بتراث أمتنا وتاريخها وحضارة ديننا الإسلامي .

3. تعميق عاطفة الولاء و البراء .

4. يركز الإعلام في رسالته على المؤثر والمتأثر(المرسل والمستقبل) وخاصة – أركان الأسرة العربية ،رسالة خاصة للأطفال والشباب والزوج والزوجة.. .

5. التأكيد على أن اللغة العربية هي الوعاء الرئيس للخطاب الإعلامي العربي ومستودع ثقافته .

ويجب أن يعي الإعلام العربي ، أن بعض الجهات قد تسرد بعض الحقائق وتمزجها بأباطيل و اختلاقات لغاية في نفس يعقوب وهذا إعلام مضلل ومثاله تشويه الغرب لصورة الإسلام والمسلمين لدى المواطن الغربي معتمدين في ذلك قاعدة " أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره " فهم

---

[26] عليوة ، السيد ، استراتيجية الإعلام العربي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م.

يشوهون صورة الإسلام ليسوء الحكم عليه ، مستغلين في ذلك أحدث الأساليب المدروسة بعلم النفس مع وجود الإخراج والعرض [27] .

إن الثقافة العربية هي تعبير عن الهوية العربية. وإن تشويه الهوية العربية وصورة الإنسان العربي لدى الإنسان الغربي، قد ارتبط بشكل مباشر بعملية الغزو والاجتياح بشقيها العسكري، والثقافي [28].

فالاجتياح الصليبي للمشرق العربي قام به الغزاة الأوروبيون تحت حملة إعلامية مركزة، لتحرير بيت المقدس من "الكفرة المسلمين العرب" ويمكن بهذا الصدد الرجوع إلى تاريخ الحروب الصليبية، وما كتبه المؤرخون الأوروبيون بأنفسهم عن ذلك [29].

---

[27] بدر ، أحمد ، الإعلام الدولي ، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ، القاهرة ، بدون دار نشر ، 1977م.

[28] فؤاد ، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان ، 1997م.

[29] الحروب الصليبية المشهورة المعروفة التي كانت في عصر صلاح الدين لم تكن إلا سلسلة من الحروب التي شنتها القوى الصليبية على بلاد الإسلام طوال خمسة قرون . وكانت الجيوش تأتي بين الحين والحين للإغارة على بلاد الشام من جهة الروم ، أو الفرنج الذين كانوا يأتون من أوربا ، وصاروا هم جند الشيطان . وقد رد اللـه كيدهم فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى أغراضهم التي كانت تمثل محاولات استعادة البلاد التي فتحها المسلمون ، كما في قصيدة ملك الأرمن (نقفور) ، وكان عازماً على استعادة جميع البلاد من المسلمين ، فأرسل قصيدة إلى خليفة المسلمين يخوفه ويرهبه بعد أن أستولى على بلاد أرمينيا وحلب من المسلمين، ويذكر فيها عزمه على السير نحو مصر وبغداد وخراسان والأهواز والشام والقدس ونجد واليمن وغيرها من بلاد المسلمين ويخرب مكة والمدينة . ثم كانت الحملات الصليبية وتكونت أربع إمارات صليبية في الشام . فتصدى لها المجاهدون من السلاجقة عماد الدين زنكي ، ثم نور الدين زنكي الذي قضى على معظم هذه الإمارات ،

فشلت الحملات الصليبية في القضاء على الإسلام في بلاده فشلاً تاماً ، وكان الأوربيين

قد جاءوا بكل قوتهم بملوكهم وأمرائهم وأميراتهم وبعض شعوبهم ظانين أن الأمر

سهل لما معهم من جيوش ، ففي حصار عكا وحده جاء أعظم ملوك أوربا غير

الأمراء والقواد ، وهم ملك إنكلترا وملك فرنسا وملك الألمان، وجاء مع ملك الإنكليز

الآلاف من الجنود في أربع وعشرين بطشة (سفينة) ، وكان قد أرسل قبله أسطولاً

مشحوناً بالجنود، وجاء ملك الفرنسيين وحده في ستين بطشة ، أما ملك لمين الألمان

فقد جاء بثلاثمائة ألف مقاتل غير الإمدادات الأخرى التي كانت تأتي من أوربا أثناء

الحصار من مختلف البلدان الأوربية . جاءوا بجيوش لو دخل أحدها حرباً لن يهزم ،

ثم صلاح الدين الأيوبي – كان من قواد نور الدين – فتصدى لجيوش الصليبين المتوجهة نحو مكة والمدينة وردها بعد أن وصلت إلى الساحل ، على مسافة يوم واحد من مكة ، فأرسل الأساطيل المسلمة المحملة بالمجاهدين ، فأنزلوا بهم بأساً ففر الصليبيون راجعين . ثم كان على يديه فتح بيت المقدس في 583هجري ، والقضاء على قوتهم وبأسهم وأخطر جيوشهم ، وفتح عشرات المدن التي كانت بأيديهم وحصرهم في مدن محدودة .

ولما فتح المسلمون بيت المقدس أخذوا منهم صليب الصلبوت الذي كان يعبده ويعظمه جميع ملوك الفرنجة في أوربا ، فحينئذ قام الشيطان بجنوده من القساوسة والرهبان بإثارة الشعوب الأوربية وملوكهم لاستعادة بيت المقدس وصليب الصلبوت . وكانوا يصورون رجلاً يضرب رجلاً آخر وينتصر عليه ويقولون " إن المسيح يضربه عدوه محمد " لإثارة الشعوب الجاهلة الغافلة .

فنشط رؤساء المسيحية من الرهبان والقساوسة في إشتعال نار الحمية ضد المسلمين في قلوب الأوربيين ليهجموا على بلاد الإسلام ، وأخذوا يشوهون صورة الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في أعين القبائل الجرمانية الهمجية ، ويقولون لهم إن أهل الإسلام وثنيون .

وذلك في الإعداد لخوض المعركة العظمى بين الإسلام والنصرانية .

وعزموا على أخذ جميع الشام والقدس ومكة والمدينة أيضاً ، ولكن الله من ورائهم محيط ، فردهم الله خائبين مخذولين لم ينالوا من غرضهم بيت المقدس ولا مدن الساحل التي فاوضوا صلاح الدين عليها ، وقد رأوا في هذه البلاد من الأهوال ما منع أغلبهم أن يستجيب لوسوسة الشيطان بحملات أخرى على القدس مدة من الزمان [30].

فأما جيش الألمان فقد قتل الله جله (ما عدا خمسة آلاف في إحدى الروايات) ، وقتل ملكهم قبل أن يصل عكا ، وتولى ابنه البقية الباقية من الجيش ، ثم هلك في طاعون عكا . وحتى مع فتحهم عكا إلا أن خسائرهم كانت أكثر من خمسين ألف قتيل بينما لم يستشهد من المسلمين أكثر من خمسة آلاف . ورأوا في مدة حصارهم الفزع والرعب والأهوال والموت والأمراض . وفي حطين كذلك هلك من الصليبيين مايقرب من ثلاثين ألفا وأسر ثلاثون ألفا [31].

كانت الخسائر عظيمة في صفوف الصليبيين ، لما قتل في فتوحات صلاح الدين. هذا غير من هلك قبل صلاح الدين وبعده على أيدي ملوك المسلمين وأمرائهم.

---

[30] نوار، صلاح نوار محمد، قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2005م.

[31] جيبون ، إدوار ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج1 ، القاهرة ،ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ترجمة محمد علي أبودرة ، 1997م.

وأيـضاً دخـل بعـض أفـراد الجـيش الـصليبي في الإسـلام ، أثنـاء حـصار عكـا ومخـالطتهم للمسلمين . وأما من لم يدخل فقـد بهـره الإسـلام وشـعبه وحيـاتهم وحـضارتهم وأخلاقهـم وجهادهم ، وزالت الصورة القاتمة التي كانت قد وضعها الرهبان في فكر الشعوب الأوربية الهمجية [32].

وبعد أخذ عكا ، تقدم ملك الإنجليز إلى بيت المقدس للإستيلاء عليه ، ولكنه وجـد صـلاح الدين في انتظاره في القدس وقد بايع أصحابه على الموت عند الصخرة ، وكان ملـك إنجلـترا قد طالت مدة غيابه عن بلده ، وكان جيشه قد بدأ يشعر بالإرهاق ، فاتفقوا على الرجوع ، وعقد الهدنة مع صلاح الدين الذي لم يعـط لـه إلا صـليب الـصلبوت ورفـض تـسليم أي مدينة لهم . كل ذلك ولم يكن جيش صلاح الدين والمرابطون في الحصار إلا عشرون ألفـا ، وأحياناً كان يستدعى الجيش المصري أو الشامي وتتوافد عليه بقية ملـوك الإسـلام . فنـصر اللـه جنده وأعز الإسلام وأيد عباده المؤمنين وأذل الكفر والكافرين وردهم خـائبين وهـزم الأحزاب وحده [33].

[32] نوار، صلاح نوار محمد، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2008م.

[33] جودة ، محمد أحمد ، اليهود والمسيحيون والرومان وتدمير هيكل سليمان ، الإسكندرية ، المكتب العربي الحديث ، بدون تاريخ .

ثم تصدى المماليك للصليبين ، ففتحوا البقية الباقية من المدن التي كانت تحت الصليبيين ، وعملوا على استرداد جميع ما بأيدي الصليبيين من مدن إسلامية في الشام ، وتم لهـم ذلـك في عهد قلاوون بفتح عكا وبقية المدن الساحلية ، في 1291م.

فاندحرت الصليبية وانهزمت هزيمة شنعاء ، وعادت إلى حوزة الإسلام وتحقق موعد اللــه

.

فكان من نتائج الحملات الصليبية ، النصر الباهر للإسلام والمسلمين مـن اسـتعادة جميـع المدن التي احتلها الصليبيون ، بل وتنبه المسلمون وأفاقوا من غفلتهم . وكانت كذلك نقلة حضارية في أوربا بعـد أن تحولـوا تحـولاً تاماً للاهـتمام بـالعلوم ،ووقـف هـذه الحمـلات الـصليبية التـي لا تـأتى عـلى المـسيحية إلا بكـل شر ، والاهـتمام بـالغزو الفكـري والثقـافي التبشيري أكثر من الغزو العسكري [34].

وما زالـت الحـروب الـصليبية درسـاً لقـادة أوربـا في خططهـم لاحـتلال الـبلاد الإسلامية حتى بعد مـرور قـرن منهـا ، فـصار خطـة كثـير مـن قـادة الجيـوش الصليبية بعد ذلك استخدام الحيـل والمكـر والخبـث والـدهاء والخديعـة قبـل

---

[34] نوار، صلاح نوار محمد، قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2005م.

دخول جيش الاحتلال حتى يقللوا من جهودهم في مواجهة المسلمين بالسلاح، وإن تفوقوا عليهم . فيعملون أولاً على تخدير الشعوب الإسلامية ، قبل دخول جيوش الاحتلال [35].

إن هذا الغطاء الحضاري للإنسان الأوروبي الذي يقابلـه في الوقـت ذاتـه تـشويه حـضاري للإنسان العربي، قد تم إدراجه علانية دون حياء في نص صك الانتداب الذي فرضـته الـدول الاستعمارية في ميثاق عصبة الأمم المتحدة حيث جاء [36] بحرفية النص (يـشكل رفـاه هـذه الشعوب ونموها، رسالة حضارية مقدسة ، وينبغي أن تحوي الشرعية الحـاضرة للعـصبة – أي الميثاق – ضمانات كافية لتحقيق هذه الرسالة)... وقد ركز تيودور هرتـزل [37] في مؤلفـه (الدولة اليهودية) الذي صدر له في أوروبا عام 1902 م على توظيف تلك الصورة الهمجيـة التي استقرت لدى الإنـسان الغـربي عمومـاً عـلى الإنـسان العـربي بغيـة اسـتدرار العطـف الأوروبي على مشروعه الاستعماري بقوله:

[35] الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، القاهرة، ط 3، مكتبة مدبولي، 2005م.

[36] المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم المتحدة.

[37] المؤسس النمساوي للحركة الصهيونية. حالة اليهود أقنعتـه بأن الحلّ الوحيد لمشكلة اللاسامية هو استيطان اليهود في مكان واحد، كتابه دولة اليهـود في 1896 أطلق الصهيونية السياسية، وقد أصبح الرئيس الأول للمنظمة الصهيونية العالمية في 1897.

ولد في بودابست وأصبح كاتب مسرحي ناجح وصحفي في فينا.

(سنكون جزءاً من السور الأوروبي المرفوع وسط المشرق العربي .. سنكون بناة الحضارة المدنية في مواجهة التخلف والبربرية) [38] وبعد انحسار الاحتلال العسكري الأوروبي للوطن العربي في معظم أقطاره، لم تتغير تلك الصورة المرسومة عن العرب لدى الغرب عما كانت عليه .. بل انتقلت الحملة الإعلامية إلى مزيد من التشويه والتزوير، وذلك لأن المطامع الاستعمارية لم تنحسر بعد زوال الاحتلال بل شهدت مداً جديداً ارتبط بشكل مباشر مع المد الغربي الصهيوني المشترك في المشرق العربي. لذلك قامت المؤسسة الصهيونية بما تملكه من مؤسسة إعلامية ضخمة في أوروبا وأمريكا بترسيخ تلك الصورة القائمة عن الإنسان العربي، وتعميمها وتعميقها عبر كافة وسائط الإعلام والمناهج التعليمية الغربية حتى إذا ما ذكر اسم العربي أمام الطفل الأوروبي والمثقف الأوروبي عموماً، فإن صورته ترتسم أمامهم بذلك البدوي الذي يقف إلى جانب الجمل والخيمة والعقال .. وله ذنب .. أو يفترس امرأة . والآن تحولت هذه الصورة إلى صورة الإرهابي الأصولي [39].

---

[38] ترجمة عن النص الروسي.

[39] نوار، صلاح نوار محمد، قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2005م.

ومع اكتشاف النفط العربي وظهور طبقة من الأثرياء العرب -- انتقلت المؤسسة الإعلامية الصهيونية إلى نوع جديد من التشويه بأن ركزت على جانب الترف والبذخ لدى حفنة من أولئك، ارتسمت صورة قاتمة أخرى عن العربي أمام الإنسان الغربي عموماً يظهر فيها العرب، وكأنه لا شغل له في الحياة سوى مضاجعة النساء، وشرب الخمور وسط الراقصات وبناء القصور والعبث بأموال طائلة من الدولارات لا يعرفون عدها أو تمييزها بل يحملونها رزماً وأكياساً على ظهورهم .. وقد أنتجت المؤسسة الصهيونية الأمريكية عشرات.. بل مئات الأفلام السينمائية بهذا الصدد وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر منها[40]:

1- فيلم القوة – عام 1986م حيث يقدم صورة فاجرة عن مشايخ النفط الذين يتدخلون في حملة الانتخاب لصالح فوز رجل مال أمريكي بعضوية الكونجرس لأنه "يعارض استخدام الطاقة الشمسية".

[40] سعيد ، عبد المنعم ، العرب ومستقبل النظام العالمي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1987م.

2- فيلم "الحياة والموت في لوس انجلـوس – عـام 1985م" الـذي يتعـرض في جـوهره لمحاولة أحد العرب – حسب زعمهم – اغتيال رونالـد ريغـان[41] أثنـاء مـرور موكبـه، وهـو يلقي بنفسه من أسطح إحدى العمارات المطلة على الموكب وهـو يـصرخ بالعربيـة – مـع دبلجة بالإنجليزية – الموت لأمريكا وإسرائيل .. اللـه أكبر".

3- فيلم "نحو الليل – 1985م" ويتحدث حول مجموعة من قطاع الطرق العرب وقد اقتحموا يختاً ثم اغتصبوا الفتيات فيه .. وتلذذهم بقتل العصافير داخل أقفاصـها .. وذبـح الكلاب وشيها..

4- فيلم (يا إلهي أيها الشيطان – 1984) يفتخر فيه بطل الفيلم بأنه عربي، مع إبـراز دوره الوحشي.

5- فيلم " مسألة ليست صغيرة – 1985م" ويظهر مشايخ النفط في مطاردة الفتيـات وأن بطلة الفيلم تقول لصديقها:" لقد أصبح رقم هاتفي معروفاً لـدى كـل شـخص يمـارس الشذوذ الجنسي على ساحل أمريكا الغربي بسبب ذلك الشيخ الشاذ" .

[41] ريغان (رونالد) : سياسي أميركي عمل في التمثيل السينمائي . ولد 1911 م.رئيس الجمهورية 1981- 1989 م. خلفه جورج بوش .

لقد بلغ هذا التشويه الإعلامي المرّكز لصورة الإنسان العربي إلى حد أصبح بها الإنسان العربي في دول المهجر يشعر بالخجل من انتمائه العربي، وفي كثير من الأحيان يلجا إلى التستر بجنسيات أمم أخرى، وهذا ما أشار إليه الكاتب الأمريكي من أصل عربي قيس قاسم الذي يشارك في البرامج الإعلامية الأمريكية، فكتب في مجلة (برايد) التي تصدر عن جريدة الواشنطن بوست، مقالة اعترف فيها أن ابنه عبر له عن كراهيته للعرب وهو العربي اللبناني بسبب ما يراه ويسمعه ويقرأه عنهم في الإعلام الأمريكي[42] .

ويضيف قيس قاسم.. هكذا هو واقع الإعلام العربي الأمريكي وإن كان يريد من ابنه أن يكون فخوراً بأصله العربي وقد كتب في مقالته المذكورة عن دور العرب الأمريكيين في الإبداع والعطاء الحضاري للمجتمع الأمريكي ذاكراً سيلاً من أسماء المشاهير العرب لدى الوسط الأمريكي في كافة مجالات الحياة.

وفي سويسرا صدر في العاصمة جنيف في خريف عام 1993 دليل هاتفي للأعوام 1993 – 1995 م مزيناً بغلاف أنيق مع صورة لرجلين بالزي العربي التقليدي (مع العقال) يقفان أمام نافورة بحيرة أ. ليمان الشهيرة ويقول أحدهما

[42] سليمان ، ميخائيل ، صورة العرب في عقول الأمريكيين ، بيروت ،ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، 1987م.

لصاحبه (أنظر .. أنه البترول يخرج من النافورة) بلغة فرنسية لا تخلوا من الاستهزاء والسخرية على العرب عموماً .. مع العلم أنه وزع من هذا الدليل نصف مليون نسخة في سويسرا والمراكز الهاتفية في عواصم العالم، وفي ميلانو في إيطاليا أثناء انعقاد جلسة المحكمة بتهمة الفساد اقتحم القاعة رجل ايطالي بالزي العربي وبيده خنجر وبأخرى كرباج في محاولة ساخرة لإلقاء تهمة الفساد في ايطاليا على العرب فيها[43] .

لقد انتهت فترة ما سمي بـ "الحرب الباردة" بتلاشي مقولة "الخطر الشيوعي [44]". وبزوال معزوفة الخطر الشيوعي، سقطت ذريعة كبرى كانت الإمبريالية [45] تستخدمها بحذق ومهارة للتدخل في أمكنة عديدة من العالم – خاصة في الوطن العربي. لكن الهيمنة العالمية الجديدة لم تفقد الوسيلة، وسرعان ما

[43] أمين ، سامر الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين " مفتاح الحرب والسلام "، عمان ، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2006م.

[44] الشيوعية: مذهب اجتماعي اقتصادي سياسي يهدف إلى جعل وسائل الإنتاج مشتركة ، كما يهدف إلى توزيع الممتلكات والمنتجات بحيث يصيب كل شخص حاجته منها، انطلاقاً من المبدأ الأساسي لهذا المذهب الذي يقول (كل بقدر قوته والكل بقدر حاجته) ومن أهم مبادئه القضاء على الطبقة الاجتماعية مع تكليف كل فرد أن يعمل حسب طاقته ، وفي العصر الحديث بدأت الشيوعية في التلاشي خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991م.

[45] الإمبريالية: بمعناها الشامل تتضمن كل أشكال التوسع والسيطرة. وتنطبق على الدول التي تسعى للتحول إلى إمبراطوريات . وهي مذهب سياسي يبرر اللجوء للقوة الغير عسكرية لإنشاء إمبراطورية بهدف التوسع والسيطرة على شعوب مختلفة ومتعددة الثقافات، وإخضاع هذة الشعوب لسلطة معينة سياسياً وإقتصادياً.

وجدتها – حسب زعمهم – في "الخطر الإسلامي.. والأصولية الإسلامية، مع أن الإسلام لم يشكل يوماً خطراً على أية من المجتمعات الإنسانية[46] .

فالإسلام عنوانه سلام، وتحيته سلام وربه الملك القدوس السلام، وأرضه دار السلام، ونجد ذلك دون عناء في كافة سور القرآن الكريم.

ومع أن تشويه الإسلام ليس بجديد على الغرب، ولكنه اليوم أصبح هدفاً معلناً وكأنه هو الخطر الأول الذي بات يهدد العالم – حسب إستراتيجية قادة النظام العالمي الجديد. ويستفيد الغرب من ذلك من توظيف واستثمار الأحقاد اليهودية الدفينة على العرب والمسلمين بغية تفتيت هويتهم القومية، ونسف جذورهم، لأن الإسلام شكل منذ أن عرفه العرب إحدى مكونات القومية العربية، وكان مبعث وحدتهم وتحررهم، انطلقوا به من توحيد اللـه على توحيد صفوفهم في أمة واحدة [47].

لقد انتقل الغرب في حربة على الإسلام إلى مرحلة العلانية.

فعلى الصعيد الرسمي أعلنت مرغريت تاتشر، وكانت آنذاك على رأس الحكومة في بريطانيا "كان أمام الغرب عدوان اثنان هما الشيوعية والإسلام،

---

[46] مهنا ، محمد نصر ، العلوم السياسية بين الحداثة والمعاصرة ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2002م.

[47] - الحيدان، عبد اللـه بن فهد، المسلمون وتحديات العصر، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، 2006م.

وقد تم القضاء على العدو الأول، دون خسائر تذكر. وعلى الغرب أن يقف اليوم في خنـدق واحد للقضاء على العدو الثاني. الإسلام" [48].

وعلى الصعيد الإعلامي نجد سيلاً من الكتـب والمقـالات والنـشرات الغربيـة التي تفيض حقـداً تـشهيراً بالإسـلام والمـسلمين عامـة. ومـن ذلـك مـا كتبـه المستـشرق [49] الفرنـسي اليهـودي مكـسم رودنـسون في صـحيفة لومونـد الفرنسية في عددها في الأول من كانون أول 1989م حـول الخطـر الإسـلامي

---

[48] منصور، بلقيس، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، 2004م.

[49] مع فشل الحملات الصليبية الأولى وخسارتها الجسيمة التي حلت بها ، ومع ظهور الوحدة الإسلامية الجديدة في الدولة العثمانية ، وقيام الخلافة الإسلامية مرة أخرى في شعب جديد وهو الترك ، أقوى مما كانت عليه . عندئذ ظهرت طائفة من الصليبيين تفكرت في كيفية القضاء على هذا الدين الفاتح الصامد ، واستخدام أسلحة ضد الإسلام ، غير الأسلحة المعروفة ، فقد حاولوا من قبل بكل قوتهم وأسلحتهم فلم يصلوا إلى هدفهم أو جزء منه ، في الحملات الصليبية الأولى ، تركت المسلمين وقد تماسكوا وتعاضدوا واتحدوا ضد عدوهم ، بل وزادتهم قوتهم وأفاقوا من غفلتهم ، ثم ألبوا عليهم التتار وعلى الرغم من ما فعله التتار في بلاد المسلمين إلا أن النتيجة اتحاد المسلمين تحت قيادة المماليك في مصر والشام ، ولم يقض على الإسلام بل زاد شعباً جديداً وهو التتار ، كانت هذه هي الفكرة الجديدة في تفكير المبشرين ، حتى أعادوا حساباتهم من جديد ، فلم يهزم الإسلام بالقوة العسكرية . فكان لا بد من وقفة لهم ودراسة قبل الإقدام على أي عمل عسكري يؤدي إلى زيادة قوة المسلمين، بل وإلى زيادة فتوحاتهم، والى اتحادهم والانتباه من غفلاتهم . فكان جل تفكيرهم هو كيفية القضاء على الخلافة الإسلامية العثمانية، كما نجح التتار بالاتفاق مع الصليبيين أسلافهم من قبل في تفتيت والقضاء على الخلافة الإسلامية العباسية، وخاصة أن العثانيين قد انتقموا من الصليبيين لمعاونتهم التتار في القضاء على الخلافة العباسية بدخول القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المسيحية .
فأصل ظهور هؤلاء المستشرقين هو عدم استطاعة الجيوش العاتية القضاء على الإسلام فكان لابد من استخدام وسائل أخرى غير الجيوش المسلحة ، ولا بد لهؤلاء الصليبيين أن يتسلحوا في حملاتهم بسلاح غير السلاح الذي استخدموه في الحملات الصليبية المعروفة والتي استخدمته جيوش التتر . أتوا إلى بلاد الإسلام وفيهم نفس مقدار الحقد الذي أتوا به في حملاتهم الصليبية الأولى .

بعنوان "الإسلام ... هذا الوبـاء الاجتماعـي الخطـير الـذي يهـدد فرنـسا ." إن الحـرب مـع الشيوعية استغرقت سبعين عاماً، بينما حروب الغرب مع الإسلام بـدأت منـذ 1300 عـام – أي من 920 عام من انطلاق دعوة رسول الهدى محمد (ﷺ) 620م – وما زالت مستمرة [50].

وفي منتصف حزيران 1992م خرجت مجلة التايم الأمريكية وعلى غلافها صورة لمئذنة مع يد تحمل رشاشاً مع عبارة : "ألا يجب على الغرب أن يخاف الإسلام؟."

والمؤرخ الأمريكي فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ، والإنسان الأخير" كتب يقول: يشكل الإسلام الأصولي أحد فروع الفاشية [51] وأخطرها.

---

[50] دالرر، أيفو، وآخرون، هلال الأزمات (الإستراتيجية الأمريكية- الأوروبية – حيال الشرق الأوسط الكبير)، بيروت، الدار العربية للعلوم – ناشرون، ترجمة حسّان البستاني، 2006م.

[51] الفاشية: نظام سياسي يقوم على دكتاتورية الحزب الواحد وتمجيد الدولة وبث روح الحماس والشعور الوطني ، وصيانة النظام والقانون وإحترام الملكية الخاصة وتنظيم النقابات المهنية وإستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية ، واللجوء إلى الحلول العسكرية بحكم أنها تقوي الشعور القومي وتشجع تضحية الفرد في سبيل المجموعة بحيث لايمتلك كياناً خاصاً به وإنما يستمد وجوده من شخصية الدولة وبقائها وذلك تنفيذاً للمبدأ الفاشي الذي يقول : كل شيء للدولة! ولاشيء ضد الدولة! ولاشيء خارج إطار الدولة.

والكاتبة الإنجليزية روز لند ملز في كتابها "تاريخ نساء العالم كتبت عن الكعبة في مكة المكرمة، تقول:

في الكعبة، أعظم معبد للمسلمين تجد الحجر الأسود، وعلى سطحه علامة بارزة لعضو المرأة التناسلي في افتراء فاضح من وحي الخيال للتشهير بمقدسات المسلمين.

إن هذه الحملات الإعلامية تدل على مقدار حجم الإشاعات المغرضة ضد العرب والمسلمين وأن تصويرهم بالصور البشعة لتدل دلالة واضحة على اجتهاد أصحابها في تشويه الصورة عن طريق الإشاعة[52].

فكل شيء يحتاج إلى الإعلام بداية من التجارة وانتهاء بالعقائد والمثل . ونحن المسلمين لنا خصوصيات إعلامية ينبغي مراعاتها في إعلامنا سواء كان موجها للمسلمين او لغير المسلمين وهذا من أهم ادوار أهل الفقه والفكر والتربية ،فرجال الإعلام هم أعلى طبقات المجتمع لان دورهم هو التأثير على الناس ليهتدوا فإذا تسلط العلمانيون على الإعلام فإن المراد هو علمنة الناس ،

[52] نوار ، عبد العزيز سليمان ، الشعوب الإسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1973م.

واذا تسلط أهل الفسق والمجون فان المراد اشاعة الفواحش وقس على ذلك[53].

والحقيقة اننا نحن المسلمين مازلنا في أمس الحاجة للوصول إلى إعلام جيد داخليا وخارجيا ، فأغلب إعلامنا مقتصر على الخطاب الداخلي وبطريقة تبعث على الملل واقل ما يقال عنها أنها تجعل المتلقي في حيرة وشك بدل الوصول به إلى اليقين .. وحتى لا نطيل نختصر فنقول : اذا كانت الدعوة إلى الله تتلخص في صدق القول والعمل فإن الإعلام الجيد يعتبر أعظم جسر لعبور الدعوة إلى الناس [54].

خامساً :وظائف وسائل الإعلام:

ليس أدل على أهمية الإعلام ووسائله مما أصبح معروفا في العالم، من ان الدولة ذات الإعلام القوي تعتبر قوية وقادرة، فلقد أصبح الإعلام رئيسيا في بقاء بعض الدول وخاصة تلك التي وجدت فيه إحدى دعاماتها الرئيسة الأولى،

[53] حوات ، محمد علي ، العرب والعولمة (شجون الحاضر وغمـــوض المستقبل) ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2002م.
[54] شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.

وقدمته على باقي دعائم الدولة [55].

للإعلام وظائف رئيسة هي:

أولا: التوجيه وتكوين المواقف والاتجاهات:

إذا كانت المدرسة تقوم بمهمتها تلك عن طريق الهيئة التعليمية والكتاب، فإن توجيه المجتمع يمارس بشكل مباشر وغير مباشر على السواء عن طريق وسائل الإعلام المنتشرة عادة، فكلما كانت المادة الإعلامية ملائمة للجمهور لغة ومحتوى، ازداد تأثيرها، فلا يعقل مثلا ان تخاطب الذين لا يجيدون اللغة العربية باللغة الفصحى، ولا الذين ليس لديهم مستوى ثقافي معين بالمنطق وعلم الكلام والحجج الفكرية والفلسفية [56].

ثانيا: زيادة الثقافة والمعلومات:

التثقيف العام هدفه هو زيادة ثقافة الفرد بواسطة وسائل الإعلام وليس بالطرق والوسائل الاكاديمية التعليمية، والتثقيف العام يحدث في الإطار

---

[55] بدوى ، ثروت ، أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1970م.

[56] إسماعيل ، فضل الله محمد ، فلسفة السياسة ، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة ، 2008م.

الاجتماعي للفرد أكان ذلك بشكل عفوي وعارض أو بشكل مخطط ومبرمج ومقصود[57].



[57] قرقوط، تاريخ الأمة العربية الحديث، (المشروع القومي الذي لم يتم). القاهرة، مكتبة مدبولي، 2005م.

الفصل الثاني:

الإفتراءات في التاريخ

على ضوء القرآن الكريم

والسنة النبوية

أولا: الإفتراءات حول الأنبياء :

إن الافتراءات قديمة قدم وجود الإنسان، وهذا التاريخ يأتي بصفحات تؤكد وجود إفـتراءات مع وجود الإنسان، ولا يستبعد أن تعيش ما عاش الإنسان غير قابلة للاسـتنفاذ في مواضـيع معينة، وأن تأخذ أشكالاً متنوعة، في أوقات مختلفـة. ويـشير القـرآن الكـريم إلى كثـير مـن الشائعات التي روجها الكافرين حول الأنبياء صلوات اللـه عليهم [58].

فمن الأنبياء نـوح[59] الـذي قاومـه قومـه بإشـاعة وبفريـة يطلقونهـا حولـه، ويبثونهـا، ويتوارثونهـا أحيانـاً. فقـد كـان قـوم نـوح قـد عكفـوا عـلى عبـادة غـير اللـــه تعـالى واتخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دونه. فاختار اللـه تعالى نوحاً من بين أولئك القوم، لينذرهم عذاب اللـه إذا تمادوا في غيـبهم وضـلالهم، فعتّـوا عـن أمـر ربهـم، واجتمـع

[58] منير، وليد، النص القرآني من الجملة إلى العالم، القاهرة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.

[59] نوح عليه السلام : هو النبي الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام . وهو أول الرسل كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة في صحيح مسلم : (يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض) وبعضهم يؤول هذا الحديث ويقول برسالة آدم وادريس . وقد ذكر نوح عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكر يم . ذكرت قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة القمر وسورة نوح وهي مختلفة اللفظ بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان .

بذل نوح عليه السلام منتهى وسعه واجتهد بغاية امكانه أن يتبعه قومه في الايمان باللـه تعالى وأن يقلعوا عن عبادة تلك الأصنام . وطال الزمن وهو يغاديهم بالنصح ويرواحهم بالعظة سراً وعلانية وهم لا يزداد إلا اعراضاً ونأياً عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الإيمان والنعم التي تنتظرهم في عاجل حياتهم من إرسال المطر لسقياهم وسقيا أرضهم ووفرة الأموال وكثرة الذرية .

الملأ من قومه كبراؤهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه. واستبعدوا أن يكون واحد منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء يأتي لهدايتهم دون أن يكون ملكاً، أو يمتاز بفضل من الغنى والثروة، وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحاً من الضعفاء. وزعموا أنهم إنما اتبعوه من غير روية ولا أحكام [60].

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {1/71} قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {2/71} أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ {3/71} يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {4/71} قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا {5/71} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا {6/71} وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا {7/71} ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا {8/71} ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا {9/71} فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {10/71} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {11/71} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل

[60] - النجار، عبد الوهاب ، قصص الأنبياء ،بيروت ، ط2 ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا {12/71} مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا {13/71} وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا {14/71} أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا {15/71} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا {16/71} وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا {17/71} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا {18/71} وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا {19/71} لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا {20/71} قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا {21/71} وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا {22/71} وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا {23/71} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا {24/71} مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللهِ أَنصَارًا {25/71} وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا {26/71} إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا {27/71} رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا {28/71}) (نوح: ١ – ٢٨)

وقد اتهم من قومه بأنه يريد التفضيل عليهم يتزعم ويتأمر، وفي قوله (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (المؤمنون: ٢٤)

ومعنى يتفضل يتزعم ويتآمر ويلاحظ، وأن الخطاب موجّه للجمهور وليس مواجهاً به نوح

عليه السلام، وفي هذا دلالة أن المقصود من الحملة هو المحافظة على الجماهير في وضع

معين، وفي حالة متجمدة على ما هي عليه كي يستمر ابتزازها وتسخيرها.

وقد اتهموه وجماعته المؤمنة اتهاماً آخر ألا وهو الكذب، فقالوا:

(أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللـهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ {26/11} فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ {27/11}) (هود: ٢٦ – ٢٧)

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {59/7} قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {60/7}) (الأعراف: ٥٩ – ٦٠)

ثم يشاع عنه الجنون، **(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9/54})** (القمر: ٩)

وهذا هو هود عليه السلام[61]، كان قومه أصحاب أوثان يعبدونها من دون اللـه تعالى

وكان هود عليه السلام ينذر قومه ويحذرهم بأس اللـه ويضرب لهم المثل بقوم نوح، مع

ذلك رموه قومه بالطيش والخفة :

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ {65/7} قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {66/7}) (الأعراف: ٦٥ – ٦٦)

ويجدر بالملاحظة ، أن الملأ هم الذين كانوا يتولون تصنيع وإطلاق ونشر الافتراءات، لأنهم

أصحاب المصلحة في معارضة دعوات الأنبياء حتى تبقى لهم السيطرة على القطعان، ثم

يردد القوم ما أطلق الملأ من إفتراءات بلا وعي وتبعية عمياء.

---

[61] ذكر هود عليه السلام في القرآن الكريم سبع مرات . ان عاد لم تذكر في كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم . وليس بيد أحد من الناس من أخبارهم ما يوثق به ويصح التعويل عليه . سوى القرآن وحده – فقد ذكر مساكنهم وأحوالهم وجسامة أجسامهم وقوتهم وما كانوا ناعمين فيه من خصب ورغد عيش وما استمسكوا به من الكفر والأوثان وعتوهم وفسادهم في الأرض وتماديهم في الاستمساك بعبادتهم الباطلة ومابذل هود في سبيل هدايتهم وردهم عن فاسد اعتقادهم وما قابلوه به من العناد والسخرية والاستهزاء إلى أن تأذن اللـه بهلاكهم .

أما عن موسى عليه السلام[62]، فإنه يحمل دعوة ربه إلى فرعون وملاءه وقومه ويلح موسى عليه السلام على فرعون بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى في ملأ قومه وذلك يكسر من هيبته ويحط من رتبته، وجه فرعون إلى القوم كلامه متجاهلاً الإله الذي يدعوا إليه موسى، وانه سيتخذ الوسيلة للصعود إلى اله موسى لمعرفة هذا الإله، ولعله فهم من قول موسى رب السماء والأرض أنه موجود في السماء. وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء تناله قدرته. فأصدر أمره إلى هامان أن يبنى له صرحاً يأخذ في السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلى اله موسى ثم أردف ذلك بأنه يظن أن موسى كاذب في أن له إلهاً سوى فرعون وعندما طلب آية من موسى فألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان لا شك فيه يتحرك ويسعى، ووضع يده في جيبه ثم نزعها فإذا هي بيضاء للناظرين. رأى فرعون والملأ من قومه ذلك فعمدوا إلى التمادي على تكذيب موسى فيما جاء به من الآيتين فيملأ فرعون سماء مصر ويسمم الأجواء بما يطلق من افتراءات فيقول: إنه ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم [63].

[62] شب موسى عليه السلام في بيت فرعون . وكان قوى البأس وافر القوة ولم يخف عليه انه دخيل في بيت فرعون وأنه اسرائيلى من ذلك الشعب المضطهد من فرعون وآله . فكان ظهيراً للعبرانيين قومه .

[63] - النجار، عبد الوهاب ، قصص الأنبياء ،بيروت ، ط2 ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

(**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {34/26} يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {35/26}**) (الشعراء: ٣٤ – ٣٥)

ولقد تكرر ذكر اتهام فرعون لموسى بالسحر مرات عديدة في القرآن، مره على لسان فرعون، ومرة على لسان الملأ وبعد ذلك يردد الشعب.

وأما عن اتهام فرعون لموسى بالظن (**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا {101/17}**) (الإسراء: ١٠١)

ومره أخرى يجمع إلى السحر تهمة الكذب: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {40/ 23} إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {40/ 24}**) (غافر: ٢٣ – ٢٤)

وأما الملأ فقد كرروا نفس مقولة فرعون، يقول تعالى في كتابه العزيز:

(**قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {109/7} يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {110/7}**)الأعراف: ١٠٩ - ١١٠

وهذا فرعون أيضاً يتهم موسى عليه السلام أيضاً بالسحر والجنون، ويقول تعالى: (**وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {38/51} فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {39/51}**) (الذاريات: ٣٨ – ٣٩)

أن الإشاعة بالقوم أجمعهم لقيت تصديقاً، **فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {36/28}**) القصص: ٣٦

وهذا يوسف عليه السلام[64]، أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها.فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها. إلى أن هاج بها هائج. واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة فصارحته القول. ودعته إلى نفسها دعوة . واحتاطت للأمر وأخذت عدتها له . وغلقت الأبواب. وقالت ليوسف هيت لك.[65]

---

[64] يوسف عليه السلام : كان يوسف عليه السلام جميل الصورة أثيراً عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته . وكان ذلك سبباً في حقد إخوته عليه وسبباً في محنته التي كانت خيراً وبركه عليه وعلى الأمم القريبة من مصر وعلى مصر . ذكر اسم يوسف عليه السلام في 26 آية من الكتاب 24 آية في سورة يوسف وآية في الانعام وآية في سورة غافر . وقد ذكرت قصة يوسف مطولة في سورة يوسف . وسبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم أن كفار مكة لقى بعضهم اليهود وتباحثوا في ذكر محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لهم اليهود سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر .

[65] هيت لك : أقبل ، أسرع : إرادتي لك .

قال انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللـهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {23/12} وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ {24/12} وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {25/12} قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {26/12} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ {27/12} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28/12} يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ {29/12} وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {30/12} فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ {31/12} قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ {32/12} قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي

كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ {33/12} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {34/12} ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ {35/12}) (يوسف: ٢٣ – ٣٥)

للعلماء في تفسير هذه الآية آراء فمنهم من يقول أن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها وهو هم بها وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلما لم يبق شئ دون إتمام ما قصدته وقصده جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبياً . وهذا العمل لايليق من الأنبياء فكف عنها . وهذا برهان ربه ومعنى الآية لولا أن رأي برهان ربه لفعل .

ومما سبق في الآيات الكريمة يتبين ظهور حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قُدَّ من دبره – فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال انه من كيدكن عظيم وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرّح بأنها مخطئة فيما صنعت ويقول الدكتور أحمد نوفل، في قصة يوسف عليه السلام، وبرغم التكتم والتحفظ الإعلامي الشديد من قبل قصر العزيز فإن الإشاعة قد تفشت في نساء مصر، وابتدأن فيها وأعدن، وزدن وبالغن، وقلن: (**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**) (يوسف: ٣٠)

ويضيف هنا أن هذه الإشاعة هي عين ما حدث بالفعل، فهـي عـلى هـذا روايـة واقعيـة لما حصل وليست إشاعة، ولكن بالتأمل في الفعل المضارع تُراود ودلالاته وايحاءاته وعلى طريقة القرآن في الإيجاز وطي التفاصيل. على هذه الطريقة استعمل القرآن الفعل المضارع، ليوحي بما في نفوس النسوة من ظن أن امرأة العزيز تمارس هذه المراودة عـن حـب مقـيم، وضـلال مبين، وأن ما حصل ليس لحظة عابرة، وإنما فعل مستمر، عبّر عن هـذه الظنـون والخـواطر، الفعل المضارع "تراود" واكد ذلك جملة مؤكـدات تـضمنتها الجملـة التذيليـة (إنّـا لَنراهـا في ضَلال مُبينٍ) من هذه المؤكدات: إن، واللام، واسميه الجملة، والظرفية الموجبـة بالـشمول (في ضلال) ووصف الضلال بالمبين واستعمال لفظ الضلال بمعنـى الغـرام، فهـو حـب وصـل حـد الضلال، كل ذلك في كلمات قليلات: (إنّا لَنراها في ضَـلال مُبـينٍ) ويـضيف بملاحظـة أخـرى في وصول السر إلى النسوة، مع انه لم يـشهده إلا أشـخاص لا يعقـل مـنهم خـروج الـسر، ولكـن الذي يبدو أن النسوة أشـعن هـذه المقولـة دون أن يعلمـن بتلـك الحادثـة، بـل مـن خـلال ملاحظاتهن لامرأة العزيز أثناء زيارتها في البيت فقد كن يرقبن بعيـون النـساء المترفـات ذاك الفتى وشغف سيدته به [66].

---

[66] العقوبات " العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم " – أبي بكر عبد اللـه بن محمد ابن أبي الدنيا –

ولما فشت المقولة بذلك رأى العزيز وحسّن له مثيروه أمراً هو أنـه لا يخلصـهم مـن العـار ويكف السنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن ليخيلوا للناس أنه مازج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة. وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به، يقول تعالى: (**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ** {35/12}) (يوسف: ٣٥)

ويقول أحمد نوفل ولعل الحين الذي أشارت له الآية هو حين انتهاء موجة الإشـاعات التـي عمت المقربين من أصحاب النفوذ، والطبقة العليا في المجتمع.

وبعد أن دخل يوسف عليه السلام على غير جريمة أتاها ودخل معه السجن فتيان احدهما رئيس الخبازين عند الملك والثاني رئيس سقاته،

(**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ {36/12} قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللـهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {37/12} وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللـهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللـهِ**

تحقيق محمد خير رمضان يوسف – بيروت ،دار ابن حزم ،ط1 ، 1996م.

عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ {38/12} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللـهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39/12} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللـهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {40/12} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ {41/12} وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ {42/12} وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ {43/12} قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ {44/12} وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ {45/12} يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ {46/12}) يوسف: ٣٦ - ٤٩

وعاد رئيس السقاة إلى الملك بتأويل رؤياه فسر بها وعلم انه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا. فقال الملك ائتوني بيوسف. فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته وطلب إلى الرسول أن يعود إلى الملك

ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ويتداخل معنا الدكتور أحمد نوفل، ويقول عن يوسف عليه السلام، ما كان أشد ذكائه وأبعد نظره حين طلبه الملك إعجاباً به فلم يستجب، بل طلب فتح ملف القضية، وما ذلك إلا لتتاح له فرصة العمل دون أن تعكر عليه الإشاعات صفوة أو تضعف سلطته ونفوذه، الهمس والتشكيك والإشاعات طلب الرسول أن يعود إلى الملك ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فلما أعيد التحقيق في القضية وأشرف عليها الملك بنفسه، وقال النسوة ما قلن. قلنا حاش لله ما علمنا عليه من سوء وأنكرن أن يكن سمعن شيئاً عن شأنه وشأن امرأة العزيز[67]، قالت امرأة العزيز:

(قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51/12}) (يوسف: ٥١) وصدر الحكم ببراءته المطلقة من هذه الفعلة في محاكمة علنية مشهودة، عندئذ خرج يوسف من السجن وتسلم الصلاحيات والسلطات التي خوله إياها الملك يقول تعالى في كتابه العزيز:

[67] - أمين ، بكري شيخ ، التعبيرالفني في القرآن ، بيروت ، دار الشؤون للنشروالتوزيع ، 1986م.

(قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51/12} ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ {52/12})يوسف: ٥١ - ٥٢

وأما مريم بنت عمران، فقد نشأت نشأة طهر وعفاف وبُعد عن الاشغاف إلى رذيلة مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته فلما بلغت مبلغ النساء وجدت وقتاً في خلوة وحدها فلم ترع إلا بالملك جبريل الذي أرسله الله إليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءاً فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى، فاعلمها انه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاماً زكياً. فأخذها العجب من ذلك. إذ كيف يكون لها ولد وهي لم يمسها أحد من الناس. فهوّن عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى وهو الإله الذي لا يعجزه شيء وينفخ في جيب درعها فإذا هي حامل[68]. ويقول تعالى:

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا {16/19} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17/19} قَالَتْ إِنِّي

[68] النجار، عبد الوهاب ، قصص الأنبياء ،بيروت ، ط2 ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا {18/19} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19/19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {20/19} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا {21/19}) (مريم: ١٦ – ٢١)

وحملت مريم بعيسى[69] بمجرد نفخ الملك في جيبها وطبيعي أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته.

---

[69] عيسى عليه السلام : هو عبد اللـه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . وهو آخر أنبياء اللـه ورسله من بنى إسرائيل . كما أن آخر الأنبياء والرسل من بنى الإنسان جميعاً محمد صلى اللـه عليه وسلم . ذكر اسمه في القرآن بلفظ المسيح تارة وهو لقب له وبلفظ عيسى وهو اسمه العلمى وهو بالعبرية (يشوع) أى المخلص إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم ، وبكنيته (ابن مريم) تارة آخرى .

ان النصارى إذا ذكروا نسب المسيح فإنما يذكرون نسب يوسف النجار فهو شاب صالح من شبان اليهود من قوم مريم ويقول لوقا في الاصحاح الأول في الفقرة 27 من انجيله أنه من بيت داود – وكانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن تحمل بالمسيح . ولما وجدت حاملاً أسر في نفسه أن يتركها ولا يشهر بها لأنه كان باراً غامر في منامه بإمساكها لأنها بريئة من الدنس (متى ص 1-20) .

ونشأ يسوع (عيسى) وهو مشهور بأنه ابن يوسف النجار . ويقول برنابا أن مريم اتخذت يوسف النجار عشيراً لها من حين أحست بالحمل ، حيث أن عادة اتخاذ العشير موجودة في اليهود إلى اليوم .

يأتى الشاب إلى الفتاة ويخطبها . وحينئذ يتعاشران بدون اتصال زوجي ويقيمان على ذلك مدة كافية حتى إذا رضيت أخلاقه ورضيها إنما الزواج ودخل بها وعاشرها معاشرة الازواج . وإذا لم يرض أحدهما أخلاق الآخر فسخت الخطبة وذهبت كل منها لسبيله ، كل ذلك ولايكون بينهما اتصال زوجي أصلاً إلا أن يتم الزواج.

ولما حان نفصال جنين مريم ألجأها المخاض إلى جـذع نخلـة هنـاك في الموضـع الـذي فيـه مدينة بيت لحم[70] وهي على بضعة من الكيلو مترات من بيت المقـدس ويقـول البيضـاوي أن الزمن كان زمن شتاء والنخلة يابسة وإنما كان مجيئها إليها لتستتر بها أو لتعتمـد عليهـا هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لِمَ هي قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

(**فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا {23/19}**)

مريم: ٢٣

فلما أتـت قومهـا وعـلى يـدها عـيسى عليـه السـلام تحملـه، ارتـاعوا لهـذا الحـدث النـازل والخطب العظيم، وزاد في ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيـب البيئـة ونشأة التقوى التي نشأتها، فأخرجهم ذلك إلى الزراية عليها وتفيضها على ما أتـت بـه مـن أثم في زعمهم،وما قارفت من خطيئة وقالوا لها فيما قالوا:

هــذه مــريم، يراهــا قومهــا و وقــد أتــت بولــدها تحملــه، فــما يصــطبرون، وهم اليهود، فيسألونها ويستبينون الحقيقـة، بـل يطلقونهـا إشـاعة قاتلـة:

[70] بيت لحم : بالفتح وسكون الحاء المهملة . بليد قرب البيت المقدس عامر حفل فيه سوق وبازارات ومكان مهد عيسى عليه السلام .

(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا {27/19} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا {28/19}) (مريم: ٢٧ – ٢٨)

وأما ثناؤهم على أمها فغير مقصود إنما هو تعريض بها.

(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا {27/19} يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا {28/19} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا {29/19} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللـهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا {30/19})(مريم: ٢٧ – ٣٠)

ولولا أن السماء دافعت عنها بمعجزة تلوي الأعناق حين تكلم الطفل في المهد لكانت ورطتها مهلكة.

وعن تكلم عيسى بالمهد يقول النبي صلى اللـه عليه وسلم عن أبي هريرة رضي اللـه عنه: عن النبي (صلى اللـه عليه وسلم) قال ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريجُ، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أُجيبها أو أُصلي، فقالت: اللـهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريجُ في صومعته، فتعرضت له امرأةً وكلّمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها،

فولدت غلاماً، فقالت: من جريجٍ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلّى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الرَّاعي، قالوا نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجلٌ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقالت اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يمص إصبعه، ثم مر بأمه. فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبَّار من الجبابرة. وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل)).(رواه البخاري : المختصر رقم 3436).

ونحن إذا أوردنا هذه الآيات والمقولات والأحاديث النبوية الشريفة لنوضح دور الأفتراءات في التاريخ وتأثيرها على الأنبياء والأشخاص في تلك المجتمعات كيف تحورت حسب الأهواء والرغبات .

ثانياً: إشاعات الجاهلية:

(الإشاعات التي روجها اليهود والكفار والمنافقون)

حول خاتم النبيين (صلى اللـه عليه وسلم)

نود التحدث عن بعض أخلاق الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) قبل البعثة، فهذه خديجة بنت خويلد[71]، كانت امرأة تعمل بالتجارة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال من مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه نصيباً لقاء أجرهم، فلما بلغها عن رسول اللـه صدق الحديث وعظيم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام يرعى تجارتها وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره، ومعه غلامها ميسرة. وقد قبل محمد (صلى اللـه عليه وسلم) هذا العرض فرحل إلى الشام عاجلاً في مالها ومعه ميسرة[72]. فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر من غيرها.

[71] قالت نفيسة بنت منية : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن العزى بن قصي ، امرأة حازمة جلدة شريفة، أوسط قريش نسباً وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك . قد طلبوها وبذلوا لها الأموال .

[72] خرج النبي صلى اللـه عليه وسلم مع أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فلما بلغ خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان ، وهذه عير قومك قد حصر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالاً من قومك ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك . وبلغ خديجة ما قاله أبو طالب فقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك . فقال أبو طالب : هذا رزق قد ساقه اللـه إليك .

وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونُبل عظيم. ووجد ميسرة من خصائص النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) وعظم أخلاقه ما ملأ قلبه، دهشة له، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة، فأعجبت خديجة بعظيم أمانته، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقها نفيسة بنت منيّة[73]، فوافق النبي (صلى الـلـه عليه وسلم). وتزوجها عليه السلام وقد كان له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون [74].

أما قصة زواجه (صلى الـلـه عليه وسلم) منها، فإن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً

فخرج مع غلامها ميسرة : وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قد ما بصرى ، مدينة حوران – أول مدينة فتحت بالشام . فنزلا في ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي . ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال : نعم لا تفارقه .

فقال : هو نبي ، وهو آخر الأنبياء . ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح فقال له : أحلف باللات والعزى. فقال رسول الـلـه : ما حلفت .بهما قط وإني لأمرؤ أعرض عنهما . فقال الرجل : القول قولك . وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة (نصف النهار عند اشتداد الحر). يرى ملكين يظلان رسول الـلـه من الشمس .

[73] قالت نفيسة بنت منية : أرسلتني خديجة دسيساً (أي سراً) إلى محمد بعد أن رجع من الشام ، فقلت يا محمد : ما يمنعك أن تزوج ؟ فقال ما بيدي ما أتزوج به ، قلت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف بذلك ؟ قلت عليَ . قال : وأنا أفعل : فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ، ودخل رسول الـلـه في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

[74] صفة الصفوة ، ابن الجوزي – تحقيق محمد محمود إسماعيل – بيروت ، دار الخلفاء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1995م.

بذلك كبقية أقرانه من الشباب لطمع بمن هي أقل منه سناً أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير. ويتجلى لنا أنه (صلى اللـه عليه وسلم) إنما رغب لشرفها ونبلها بين جماعتها وقومها حتى إنها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

وظل هذا الزواج قائماً حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاماً بمكة في رمضان سنة عشر من النبوة، وقد ناهز النبي (صلى اللـه عليه وسلم) الخمسين من العمر، دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أو فتاة أخرى.

وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء، والميل لتعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن محمداً (صلى اللـه عليه وسلم) تجاوز هذه الفترة من العمر دون أن يفكر بأن يضم إلى خديجة مثلها من الإناث: زوجة أو أمة، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء، دون أن يخرق بذلك عزماً أو يخرج على مألوفاً وعرفاً بين الناس، هذا على الرغم من أنه تزوج خديجة وهي أيم، وكانت تكبره بما يقارب مثل عمره ويضيف هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه، من المبشرين والمستشرقين وعبيدهم الذين يسيرون من ورائهم، ينعقون ما لا يسمعون إلا دعاءً ونداءً، فقد ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج

النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) مقتلاً يصاب منه الإسلام، ويمكن أن يشوه من سمعة محمد (صلى الـلـه عليه وسلم)، وتخيلوا أن بمقدورهم أن يجعلوه عند الناس في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذة الجسد العازف في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح. وموضوع زواجه (صلى الـلـه عليه وسلم) هو وحده الدليل الكافي على عكس ذلك تماماً. فالرجل الشهوان، لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة العرب في جاهليتها، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة [75].

وللأسف فقد استمرت هذه الافتراءات إلى يومنا هذا يزيد المر مرارة أن بعض المسلمين تناقلوها وجبلوها مع أفكارهم الضعيفة الضالة، وأخذوا فيها.

أما زواجه بعد ذلك من عائشة[76] ثم من غيرها، فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة .

---

[75] أمين ، سامر الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين " مفتاح الحرب والسلام "، عمان ، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2006م.

[76] عائشة بنت أبي بكر الصديق : كانت مسماه لجبير بن مطعم فخطبها رسول الـلـه فقال أبو بكر رضي الـلـه عنه : دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقاً . فتزوجها الرسول صلى الـلـه عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين ، وقيل بثلاث ، وهي بنت ست سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين . وبقيت عنده تسع سنين ولم يتزوج بكراً غيرها .

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللـهَ كَثِيراً

{21/33}) الأحزاب: ٢١

الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) قدوة للإنسانية وأي قدوة. فهو أعظم قدوة للإنسانية كلها في تاريخها الطويل، ولقد كان رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) آية من آيات اللـه حيث تجمعت فيه شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد. وقد واجه النبي (صلى اللـه عليه وسلم) في بداية الدعوة حملات الإشاعات التشكيك، إذ يقول الدكتور أحمد نوفل عن إشاعات الجاهلية حول خاتم النبيين (صلى اللـه عليه وسلم) ، أما نبينا (صلى اللـه عليه وسلم) فقد واجه منذ بداية الدعوة وطوال الفترة المكية بحملات الإشاعة والتشكيك، واستمر أعداء الدعوة الإسلامية في استخدام هذا السلاح في الفترة المدنية وتفننوا فيه. وكان الشعر من أهم الوسائل المستعملة في ترويج هذه المفتريات.

وكان مما أطلقت الجاهلية حول المصطفى (صلى اللـه عليه وسلم) من أكاذيب. تهمه الجنون، فقد كان أبو لهب ومن جندهم لهذه الغاية يجلسون على طرقات القبائل، ويقولون أنهم أعلم بمحمد (صلى اللـه عليه وسلم) ، وأن ما يقوله من كلام، إنما هو ناشئ عن مس جنون. ففي سيرة ابن هشام: (ثم إن قريشاً اشتد أمرهم، للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) ومن أسلم معه منهم، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه

آذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون)[77] ويرد القرآن الكريم في أكثر من سورة على هذه الفرية، **(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ {1/68} مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {2/68} وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ {3/68} وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ {4/68}**) القلم: ١ - ٤

(وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ {51/68})القلم: ٥١

ففي العام العاشر من بعثته (صلى اللـه عليه وسلم) ، توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي اللـه عنها، وتوفي عمه أبو طالب، يقول ابن هشام: (فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب،حتى إذا اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. ودخل رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) بيته والتراب على رأسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) يقول لها لا تبكي يا بنية فإن اللـه مانع اباكِ).

[77] البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة النبوية (مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة)، بيروت ،ط1، دار الفكر المعاصر ، 1991م.

ولما نالت قريش من النبي (صلى اللـه عليه وسلم) من الأذى، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند اللـه عز وجل.

ولما انتهى رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، كانوا يومئذٍ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى اللـه وكلمهم بما جاءهم من أجله، ولكنّهم كذبوه، وأعرضوا عنه، فردوا عليه رداً منكراً، وفاجئوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول. فقام رسول اللـه من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً. ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وأخذوا يرمونه بالحجارة حتى أن قدمي رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) أخذتا تدميان، وزيد بن حارثة[78] يقيه بنفسه حتى لقد شجّ رأسه عدة شجاج، ثم التجأ إلى بستان من بساتين الطائف لعتبة بن ربيعة،

---

[78] زيد بن حارثة : ابن عبد العزى بن امرئ القيس ، ويقال له زيد الحب . وأمه سعدى بنت ثعلبة ابن عبد عامر ، زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيل في الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام ، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول اللـه وهبته له وكان أبوه حارثه حين فقده قال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل وعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد عن أبيه قال : كان بين رسول اللـه وبين زيد عشر سنين ، رسول اللـه أكبر منه ، وكان زيداً رجلاً قصيراً آدم شديد الأدمة في أنفه فطس ، وكان يكنى أبا أسامة . وقال الزهري : أول من أسلم زيد .

قال أهل السير : وشهد زيد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، واستخلفه رسول اللـه على المدينة حين خرج إلى المريسيع وخرج أميراً في سبع سرايا ولم يسم أحدٌ من أصحاب رسول اللـه في القرآن باسمه غيره .

قتل زيد في غزوة مؤته سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة .

فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد عليه السلام، وقد أنهكه التعب والجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه وتوجه إلى اللـه تعالى بهذا الدعاء: (اللـهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني، أم إلى عدوٍ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبُ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحلَّ عليَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)) [79].

ولما رآه ابني ربيعة صاحبي البستان، تحركت الشفقة في قلبيهما، فدعوا غلاماً نصرانياً لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفاً من العنب في طبق، ولما ابتدأ رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) يأكل، قال: بسم اللـه. ثم أكل، فقال عداس معجباً: واللـه إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول (صلى اللـه عليه وسلم): ومن أي البلاد أنت وما دينك؟ فقال: ((نصراني من نينوى))[80]، فقال له النبي (صلى اللـه عليه وسلم): ((من

[79] البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة النبوية (مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة)، بيروت ،ط،1 دار الفكر المعاصر ، 1991م.

[80] نينوى : بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى : هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التى قتل بها الحسين رضي اللـه عنه .

قرية الرجل الصالح يونس بن متى)) فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فانكبَّ عداس على رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) يقبل رأسه ويديه وقدميه. ثم انصرف النبي (صلى اللـه عليه وسلم) من الطائف راجعاً إلى مكة دون أن تستجيب ثقيف لدعوته.

وبعد عودة الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) من الطائف مهموماً حزيناً، لعدم وجود من ينصره، فكانت مشيئة اللـه للتخفيف من معاناة النبي (صلى اللـه عليه وسلم) ما لقيه من الكفار من ألمٍ وحزنٍ فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج.

ويقصد بالإسراء الرحلة التي أكرم اللـه بها نبيه الكريم من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس، أما المعراج فهو صعود النبي (صلى اللـه عليه وسلم) من المسجد الأقصى إلى السماوات العُلى ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، كل ذلك في ليلة واحدة أما قصة ذلك فهذا بيان ذلك: بينما كان الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) نائماً في مكة. إذ جاءه جبريل عليه السلام[81]، فأيقظه، وخرج به إلى باب المسجد الحرام. فحمله على دابةٍ يقال لها

[81] أخرج أبو الشيخ عن شريح بن عبد اللـه أن النبي صلى اللـه عليه وسلم لما صعد إلى السماء رأى جبريل في خلقته منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت قال فخيل لي أن ما بين عينيه قد سد الأفق وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي وكنت أحياناً أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال .

البراق، وهي دابة فوق حمار ودون بغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. فانطلق به، حتى انتهى إلى المسجد الأقصى، وفيها انه (صلى اللـه عليه وسلم) دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين، ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار النبي عليه الصلاة والسلام اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. وفيها انه عرج به (صلى اللـه عليه وسلم) إلى السماء الأولى فالثانية فالثالثة [82]. وهكذا حتى ذهب إلى سدرة المنتهى وأوحى اللـه إليه عندئذ ما أوحى.. وفيها فرضت الصلوات الخمس على المسلمين، وهي في أصلها خمسون صلاة في اليوم والليلة. ولما كانت صبيحة اليوم التالي، حدّث الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) الناس بما شاهد، طفق المشركون يجمع بعضهم بعضاً ليتناقلوا هذا الخبر ويضحكوا منه، فكذبوه وسخروا منه. وتحداه بعضهم أن يصف لهم بقايا بيت المقدس ما دام أنه قد ذهب إليه وصلى فيه، والرسول (صلى اللـه عليه وسلم) حينما زاره لم يخطر في باله أن يجيل النظر ويحفظ أشكاله وعدد سواريه، ولم يكن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) قد رآه قبل ذلك، فرفعه اللـه تعالى لنبيّه (ص) تكريماً له، فأخذ ينظر اليه ويصفه لهم وصفاً تفصيلياً كما يسألون عن جابر بن عبد اللـه

[82] فؤاد ، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان ، 1997م.

رضي الـلـه عنهما: أنه سمع رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) يقول: (لما كذَّبني قريش، قمت في الحجر، فجلا الـلـه لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) أما أبو بكر[83] رضي الـلـه عنه فقد حدثه بعض المشركين عمايقوله الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) ، رجاء أن يستعظمه فلا يصدقه، فقال (إن كان قال ذلك لقد صدق، إني لأصدقه على أبعد من ذلك).

ومع ذلك لم يصدقوا خبر الإسراء، إنما ازدادوا كبراً وعناداً، وقصدوا من ذلك العمل على تفريق جمع المسلمين لكن الأمر ما زادهم إلا طاعة وتصديقاً للنبي(صلى الـلـه عليه وسلم).

وكما قلنا سابقاً بأن النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) واجه منذ الدعوة وطوال الفترة المكية بحملات الإشاعة والتشكيك ، ومن المفتريات التي أشاعتها الجاهلية على رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم): (الكذب) وهم يعلمون في قراره أنفسهم أن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) أصدق الناس وأبرهم بدليل أن أبا سفيان[84] عندما سأله هرقل - كما في الحديث

[83] ستتقدم ترجمته .

[84] أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق . وله هناتٌ وأمور صعبة ، لكن تداركه الـلـه بالاسلام يوم الفتح فأسلم شبه مكره خائف ، ثم بعد أيام صلح إسلامه . وكان من دهاة العرب ، ومن أهل الرأي والشرف فيهم ، فشهد حنيناً ، وأعطاه صهره رسول الـلـه من الغنائم مئة من الإبل ، وأربعين أوقية من الدر اهم يتألفه بذلك ، ففرغ عن عبادة (هبل) ومال إلى الإسلام .

الصحيح – عن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم): هل جربتم عليه الكذب؟ قال: لا فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الـلـه. هؤلاء أنفسهم هم الذين أشاعوا عنه الكذب أمام جماهيرهم لأنها لا تملك العقلية نفسها التي لدى هرقل حتّى تمحص الحقائق والأخبار.ولقد كان له (صلى الـلـه عليه وسلم) أثر كبير في حلّ المشكلة التي تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، فقد خضع جميعهم لاقتراحه الذي أبداه حلاً للمشكلة، علماً منهم بأنه الأمين والمحبوب من الجميع. وهذا القرآن الكريم يسجل (**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ الـلـهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** {38/10}) يونس: ٣٨

وفرية أخرى لصيقة بهذه الفرية هي إشاعة قريش عن الحداد الرومي أنه هو الذي علم محمداً (صلى الـلـه عليه وسلم) ما جاء به، وليس الذي جاء به وحياً في زعمهم وفي

وشهد قتال الطائف ، فقلعت عينه حينئذ ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك . وكان يومئذ يحرض على الجهاد ، وكان تحت راية ولده يزيد .
وكان أسنَ من رسول الـلـه بعشر سنين . وعاش بعده عشرين سنة ، وكان عمر يحترمه ، ذلك لأنه كان كبير بني أمية .
توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين . وقيل سنة اثنتين ، وقيل : سنة ثلاث أو أربع وثلاثين ، وله نحو التسعين .

هذا (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ {103/16}**)النحل: ١٠٣

وكان الـلـه سبحانه وتعالى بالمرصاد كما يبدو من خلال الآيات السابقة الذكر فازداد النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) ثباتاً لا يتأثر بهذه الإشاعات.

وكان من إشاعات قريش ضد النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) ما ردده أبو سفيان والملأ من قريش ثم عامة مكة، وهو زعمهم بأنه ساحر. مدعين أنه يفرق بين المرء وأهله وعشيرته.

يقول الـلـه تعالى في هذه الفرية التي رددتها قريش وعجبت من حال أصحابها (**وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {4/38}**) ص4 (**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ {2/10}**)(يونس:٢)

وجاء في ما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً ذا بصيرة ورأي في قومه – قال في نادي قريش : (يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف

عنا؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) فقال: يا بن أخي، انك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم.. فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): قل يا أبا الوليد، اسمع [85].

قال يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً. جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك فيه.

فقال رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم): أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. ثم قال : صلى اللـه عليه وسلم:

(حـم {1/41} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{2/41} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {3/41} بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ

[85] مكارم الأخلاق – الإمام أبي بكر عبد اللـه بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي – تحقيق بشير محمد عيون – دمشق ، مكتبة دار البيان ، ط1 2002م.

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {4/41} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ {5/41} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {6/41}) فصلت: ١ - ٦

ثم مضى رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) في القراءة وعتبه يسمع حتى وصل إلى قولـــه تعالى : (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣) فصلت: ١٣ فامسك عتبة بغيه وناشده الرحمة أن يكف عن القراءة، وبذلك خوفاً مما تضمنته الآية من تهديد.

ثم عاد عتبه إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا : ما ورائك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط واللـه ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو اللـه ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقط كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم.

قالوا: سحرك واللـه يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم. وكان من جليل حكمة اللـه تعالى أن يقوم مشركوا قريش بسلسلة من المفاوضات مع رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، بعد أن صوروا في أنفسهم كل هذه

الاحتمالات، وهم أدرى الناس بطبيعة دعوته والغاية البعيدة من رسالته وأنه لن ينزل عند شيء من مغرياتهم. ولكن هكذا شاءت الإرادة الإلهية حتى ينطق التاريخ بتكذيب كل من سيأتي من محترفي التشكيك والغزو الفكري مع الزمن. وفي رواية أخرى في السيرة: (أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، أنه قد حضر هذا الموسم، وأن وفود العرب ستتقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً[86].

فقالوا: بل أنتم فقولوا أسمع- قالوا: نقول كاهن. قال: لا والـلـه ما هو بكاهن، ولقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنفه ولا تخالجه ولا سوسته. قالوا: فنقول شاعر.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضة، ومقبوضة ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرتهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

---

[86] بستان الواعظين ورياض السامعين ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي – تحقيق جمال محمد شرف – القاهرة ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، 2004م.

قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس؟ قال: والـلـه إن لقوله لحلاوة، وان أصله لعذق، وأن فرعه لجناة، وما انتم بقائلين من هذا شيئاً عرف أنه باطل، وأن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

لو جئنا نحلل هذا الاجتماع القرشي لوجدنا فيه عدة أمور منها، أولاً: إن الإشاعات حول الدعوة والداعية لم تكن عملية عشوائية، ولكن عمل منظم مخطط مدروس. وثانياً أنه حتى تهمة السحر لم تحظى بالقبول الكامل منهم بل وجدت طعناً قوياً، ولكنهم مع هذا ارتضوها، لأنه يمكن إقناع الجمهور بها بشئ من المخادعة والتلبيس.

ثالثاً: أن القيادة الجاهلية لقريش كانت تعلم الحقيقة كاملة، وتعلم يقيناً أن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) ليس كما يشيعون عنه ويفترون، ولكنه المبرئ من كل نقص وعيب أما عن أول هجرة في الإسلام، إن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، ولا يقدر عليه الصلاة والسلام على أن يحميهم ويمنعهم مما هم فيه، قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الـلـه لكم فرجاً مما أنتم فيه).

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى اللـه بدينهم، فلما رأت قريش ذلك، أرسلت الى النجاشي[87] عبد اللـه بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص[88] ولم يكن قد أسلم بهدايا مختلفة كثيرة، إليه والى حاشيته وبطارقته، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم.

فلما كلم النجاشي في ذلك، وكانا قد كلما من قبله بطارقته وقدّما إليهم ما جاءا به من الهدايا رفض النجاشي أن يسلم أحداً من المسلمين إليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا. فجيء بهم إليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم: (ما

---

[87] النجاشي : اسمه أصحمة ملك الحبشة معدود في الصحابة رضي اللـه عنهم ، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر ، ولا له رؤية ، فهو تابعي من وجه ، صاحبٌ من وجه ، وقد توفي في حياة النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فصلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم عليه بالناس صلاة الغائب ، ولم يثبت أنه صلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم على غائب سواه ، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن عنده من يصلي عليه ، لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر . توفي في سنة تسع من الهجرة .

[88] عمرو بن العاص : ابن وائل الإمام أبو عبد اللـه ، ويقال : أبو محمد السهمي . داهية قريش ورجل العالم ، ومن يضرب به المثل في الفطنة ، والدهاء ، والحزم . هاجر إلى رسول اللـه مسلماً في أوائل سنة ثمان ، مرافقاً لخالد بن الوليد ، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة ، ففرح النبي صلى اللـه عليه وسلم بقدومهم وإسلامهم ، وأمر عمراً على بعض الجيش ، وجهزه للغزو.

له أحاديث ليست كثيرة ، تبلغ بالمكرر نحو الأربعين ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة أحاديث منها ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بحدثيين ، وروى أيضاً عن عائشة .

ولما توفي النبي صلى اللـه عليه وسلم كان عمرو على عُمان ، فأتاه كتاب أبي بكر بوفاة رسول اللـه . وشهد عمرو يوم اليرموك ، وأبلى يومئذ بلاءً حسناً . وقيل بعثه أبو عبيدة ، فصالح أهل حلب وأنطاكية ، وافتتح سائر قنسرين عنوةً . وقال خليف : ولى عمر عمرو فلسطين والأردن ، ثم كتب إليه عمر ، فسار إلى مصر وافتتحها ، وبعث عمر الزبير مدداً له .

توفي عمرو ليلة عيد الفطر ، سنة ثلاث وأربعين .

هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل)؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب[89]، فقال: (يا أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الـلـه إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الـلـه لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش، فصدقناه وآمنا به، وتبعناه على ما جاء به من الـلـه، فقد بغى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك).

[89] جعفر بن أبي طالب : السيد الشهيد ، الكبير الشأن ، علم المجاهدين ، أبو عبد الـلـه ، ابن عم رسول الـلـه ، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي ، أخو علي بن أبي طالب ، وهو أسن من علي بعشر سنين . هاجر الهجرتين ، وهاجر من الحبشة إلى المدينة ، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها ، فأقام بالمدينة أشهراً ، ثم أمره رسول الـلـه على جيش غزوة مؤته بناحية الكرك ، فاشتشهد ، وقد سر رسول الـلـه كثيراً بقدومه ، وحزن والـلـه لوفاته . روى شيئاً يسيراً . وروى عنه ابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وأم سلمة وابنه عبد الـلـه .
عن نافع ، أن ابن عمر قال : جمعت جعفراً على صدري يوم مؤته ، فوجدت في مقدم جسده بضعاً وأربعين من بين ضربة وطعنة .
وعن ابن عباس ، قال رسول الـلـه : " رأيت جفعر بن أبي طالب ملكاً في الجنة ، مضرجة قوادمه بالدماء ، يطير في الجنة " . يقال : عاش بضع وثلاثين سنة .

فسأله النجاشي أن يتلوا عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) من عند اللـه، فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى خضلت لحيته، ثم قال لهم: (إن هذا هو الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاً: انطلقا، فلا واللـه لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون).

ثم إنهما عادا فقالا للنجاشي: (أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً. فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون). فأرسل إليهم. فقال جعفر بن أبي طالب (نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد (صلى اللـه عليه وسلم)، يقول: (هو عبد اللـه وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول).

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: واللـه ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود).

ثم ردَّ إليهما هداياهما، وعاد الرسل إلى قريش خائبين وبعد فترة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا لما بلغهم ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار، أو مستخفياً. ومما سبق يتبين لنا ظهور إشاعتين، الأولى عندما عاد رسولي قريش للنجاشي فقالا أنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، والثانية عندما بلغهم إسلام أهل مكة. فبالإشاعة الأولى وهو قول رسولي قريش للنجاشي:

(أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً) فنستنتج سمتين الأولى سمة الغموض فهي بلا برهان أو مصدر أو دليل واضح. والسمة الثانية، سمة الأهمية فهي ذات موضوع مهم بالنسبة للوسط الذي تنتشر فيه، فقد كان النجاشي على دين عيسى عليه السلام، وكان مخلصاً وصادقاً في نصرانيته [90].

فلم تجد إشاعات قريش وكذبهم ولم تؤثر في النجاشي الذي كان يعلم أن محمداً على حق ولذا صلى اللـه عليه وسلم عليه النبي (صلى اللـه عليه وسلم) عند وفاته صلاة الغائب، أما عن الإشاعة الثانية، وهي بلوغ المسلمين إسلام أهل مكة، فنستنتج مما يلي حرب نفسية سابقة لحرب مادية وهي إمساك المسلمين الذي هاجروا للحبشة. وهناك قصة شبيه بذلك تلك القصة التاريخية التي كانت تروى عن (تحومس الثالث)[91] أنه عندما أراد فتح يافا في فلسطين، وجد الأمر عسيراً، ونظراً لمناعة المدينة وعلو أسوارها. فلجأ إلى الحيلة والخديعة. حاول (تحومس) أن يقنع حاكم يافا بمقابلته ليروي له خبراً مهماً. وقبل حاكم يافا بلقاء (تحومس). واجتمع الاثنان وعرض (تحومس) على حاكم يافا. أن (فرعون) يملك عصا

---

[90] البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة النبوية (مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة)، بيروت ،ط،1 دار الفكر المعاصر ، 1991م.

[91] تحومس : أو تحوتمس : اسم أربعة فراعنة من السلالة 18 . منهم : الثاني (1520 - 1504 ق.م.) . شيد بنايات الكرنك . الثالث : (1504 – 1450 ق.م.) من أعظم ملوك مصر . انتصر على السوريين في مجدو 1475 . احتل قادش وفينيقيا وبلغ الفرات .

سحرية يستطيع بواسطتها أن يغير الأشياء. ومشت الحيلة على حاكم يافا. وطلب من (تحومس) أن يريه العصا السحرية، ووافق (تحومس). إلا أنه اشترط أن يكون لقائهما على انفراد. ولما انفرد (تحومس) بحاكم يافا سدد له ضربة قاضية أودت بحياته، واستطاع (تحومس) بحيلته هذه ضرب كل مقاومة عند أهالي يافا فدخلها منتصراً.

يبين لنا من هذه القصة التاريخية وجود الحيلة والخديعة، كما هو الحال بلوغ المسلمين إسلام أهل مكة، وعندما دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل.

وفي سورة أجملت كل ما كانوا يتقولونه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). يقول تعالى:

(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {1/34} يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ {2/34} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ {3/34} لِيَجْزِيَ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {4/34} وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ {5/34} وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {6/34} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ {7/34} أَفْتَرَى عَلَى اللـهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ {8/34} أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ {9/34} وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ {10/34} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {11/34} وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {12/34} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ

وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13/34} فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ {14/34} لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ {15/34} فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ {16/34} ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ {17/34} وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ {18/34} فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ {19/34} وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {20/34} وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ {21/34} قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن

دُونِ اللَّـهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ {22/34} وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ {23/34} قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّـهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24/34} قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ {25/34} قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ {26/34} قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّـهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {27/34} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {28/34} وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {29/34} قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ {30/34} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ {31/34}

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ {32/34} وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {33/34} وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ {34/34} وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ {35/34} قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {36/34} وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ {37/34} وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ {38/34} قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {39/34} وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ {40/34} قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ {41/34} فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {42/34} وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ {43/34} وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ {44/34} وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ {45/34} قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ {46/34} قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللـهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {47/34} قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ {48/34} قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ {49/34} قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ {50/34} وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ {51/34} وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن

مَكَانٍ بَعِيدٍ {52/34} وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ {53/34} وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ {54/34}) سبأ: ١ - ٥٤

وهاجر رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، ونجد أن الإشاعة ازدادت وتضاعفت، وصار يديرها ويسهر عليها اليهود أصحاب الخديعة والمكر والشر في العالم. وجندوا لترويجها ألسنة السوء من معسكر النفاق المنبثين في وسط الصف الإسلامي. ولولا تماسك البيئة الاجتماعية الإسلامية، لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكن التهذيب الإسلامي للمجتمع وتأكيد الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين، وطاعة رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) فوّت على أعداء الـلـه أغراضهم. عن النعمان بن بشير رضي الـلـه عنه قال: قال رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) : (مثل المؤمنين: في تراحمهم ، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [92].

(**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الـلـهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا {80/4}**) النساء: ٨٠

[92] - أمين ، سامر الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين " مفتاح الحرب والسلام "، عمان ، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2006م.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللـهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللـهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {1/8}) الأنفال: ١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللـهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ {20/8}) الأنفال: ٢٠

(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا {20/33}) الأحزاب: ٢٠

(يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا {71/33}) الأحزاب: ٧١

والآيات السابقة تحث على طاعة اللـه ورسوله: ومما سبق وكما قلنا إن تأكيد الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين، وطاعة الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) هي التي فوتت على أعداء اللـه أغراضهم.

فهذا النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) عندما تزوج زينب بنت جحش[93] ، وجد هؤلاء فرصتهم التي لا تضيع أن يزيفوا الحقيقة على الجماهير. فصاروا يشيعون أن محمداً (صلى الـلـه عليه وسلم) تزوج من امرأة ابنه، أي أنه أتى منكراً هو ينهى عنه، والأعراف تنهى عنه ولا تقره.

ويضيف لقد أحزنت رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) هذه القالة الخبيثة، ووجد منها حرجاً في صدره حتى نهاه الـلـه عن ذلك وأمره أن يمتثل لأمر الـلـه بتزوجها، وأن زواجه منها ليس بأمره هو، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) لزيد بن حارثة: اذهب فاذكرني له. فلما قال ذلك عظمت في نفسي فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يا زينب بعثني إليك رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) يذكرك. فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل[94] .

فقامت إلى مسجدٍ لها فأنزل الـلـه عز وجل هذه الآية:

[93] زينب بنت جحش بن رئاب : أمها بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الـلـه زوجها رسول الـلـه زيد بن حارثة فلما طلقها زيد بن حارثة تزوجها رسول الـلـه في سنة خمس من الهجرة وكانت من المهاجرات

[94] أخرج البخاري من حديث أنس أن زينب كانت تفخر على أزواج النبي صلى الـلـه عليه وسلم وتقول : زوجكن أهاليكن وزجني الـلـه تعالى من فوق سبع سماوات .

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللـهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللـهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللـهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللـهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللـهِ مَفْعُولًا {37/33})الأحزاب: ٣٧

فجاء رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) فدخل بغير إذن (أخرجه مسلم). فكان زواجه منها تشريعاً إلهياً عزز موقف رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) من هذا الزواج.

ولم يكتفوا بهذا في قصة زينب بل أشاعوا أيضاً أنها وقعت في نفسه (صلى اللـه عليه وسلم)، وهي زوجة زيد، وكذبوا، إذ هو الذي زوجها من زيد، فلو كان يريد الزواج منها فما يمنعه؟

ولم تنتهي الإشاعات إلى هذا الحد، فهذا حديث الإفك حول السيدة عائشة رضي اللـه عنها، واتهامها في عرضها، عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد اللـه بن عبد اللـه بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي (صلى اللـه عليه وسلم) ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها اللـه بما قالوا. وكلّهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من

بعض وأثبت اقتصاصاً. وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يُصدق بعضاً.

ذكروا أن عائشة زوج النبي (صلى اللـه عليه وسلم) قالت: كان رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه فآيتهن خرج سهمها خرج بها رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة (بني المصطلق)[95] فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أَذَنَ ليلةً بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا

---

[95] غزوة بني المصطلق وتسمى بغزوة المريسيع ، ذكر ابن إسحاق وبعض علماء السيرة أنها كانت في العام السادس من الهجرة ، والصحيح الذي ذهب إليه عامة المحققين أنها كانت في شعبان من العام الخامس للهجرة ، ومن ابرز أدلة ذلك أن سعد بن معاذ كان حياً في هذه الغزوة ، وله ذكر في قصة الإفك . وقد توفي سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة متأثراً بجرحه الذي أصيب به في الخندق ، وقد كانت غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة . فكيف يكون سعد حياً بعد عام من وفاته ؟!
وسببها ما بلغ النبي صلى اللـه عليه وسلم من أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن ضرار ، فلما سمع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له (المريسيع) . فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم اللـه بني المصطلق وقتل من قتل منهم . وقسم رسول اللـه أربعة أخماس الغنيمة على المقاتلين للراجل سهم وللفارس سهمان .

عقدي من جزع ظفار فقد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه.

قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يُهبلن ولم يفشهن اللحم، إنما يأكلن العُلقة[96] من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه.

وكانت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطّل السُلمي[97] ثم الذكواني قد عرس[98] من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فآتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، ووالـلـه ما يكلمني كلمة وما

[96] العلقة : أي القليل.

[97] صفوان بن المعطل : ابن رخصة بن المؤمل ، أبو عمرو السلمي ، ثم الذكواني ، المذكور بالبراءة من الإفك . وفي قصة الإفك ، قال فيه النبي صلى الـلـه عليه وسلم : " ما علمت إلا خيراً " . وقد روي له حديثان . قال ابن سعد : أسلم صفوان بن المعطل قبل المريسيع . وكان على ساقة النبي صلى الـلـه عليه وسلم ، إلى أن قال : مات بسمسياط في آخر خلافة معاوية ، حدثني بذلك محمد بن عمر .

[98] أي النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة .

سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطيء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موعزين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني.

وكان الذي تولى كبره عبد الـلـه بن أبي ابن سلول. فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أهلِ الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي. إنما يدخل رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) فيُسلم ثم يقول: كيف تيكُم؟ فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو مُبترزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مِسطحٍ وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثه ابن عباد بن المطلب[99] فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين

[99] مسطح بن أثاثة : ابن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، المطلبي المهاجري البدري . المذكور في قصة الإفك . كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر . توفي سنة أربع وثلاثين .

فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطحٍ في مِرطها فقالت: تعس مِسطح. فقلت لها بئس ما قلت، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟

قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَ رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم)، فسلم ثم قال:كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت، وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما. فأذن لي رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه: ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بُنية هوني عليك، فوالـلـه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر[100] إلا كثرن عليها قلت: سبحان الـلـه، وقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

[100] أي نساء ذلك الزمان ، أي القول في عيبها ونقصها ، لأن أمهات المؤمنين لا يعبنها .

ودعا رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) علي بن أبي طالب[101] وأسامة بن زيد[102] حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود. فقال يا رسول اللـه هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: لن يضيق اللـه عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تُصدقك.

قالت: فدعا رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) بريرة فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت له بريرة والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها امراً قط أغمضه

---

[101] علي بن أبي طالب : يكنى أبا الحسن ، وأبا تراب ، أسلم وهو ابن سبع سنين ، ويقال عشر ، ويقال خمس عشرة ، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك ، فإن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم . كان أدم شديد الأدمة (أي السمرة) ، ثقيل العينين عظيمها ، أقرب إلى القصر من الطول ، ذا بطن كثير الشعر عظيم اللحية أصلع ، أبيض الرأس واللحية .
بويع لعلي بن أبي طالب رضي اللـه عنه بالخلافة سنة ثلاث وثلاثين ، غداة مقتل عثمان رضي اللـه عنه . وقد تخلف جمع من الصحابة عن مبايعته : منهم سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت .. وقد كانت أيام خلافته كلها سلسلة من الفتن والحروب والاضطرابات ، ابتدأت بوقعة الجمل ، تلتها وقعة صفين ، والخصومات التي قامت بين جمهور المسلمين ومعاوية ، تلتها فتنة الخوارج التي لم تنته إلا بجريمتهم النكراء ، بمقتل علي رضي اللـه عنه .
قتله عبد الرحمن بن ملجم ، وهو أحد رؤوس الخوارج ، قتله عام 40 للهجرة عندما خرج كعادته يوقظ الناس لصلاة الفجر ، ففاجأه ابن ملجم وضربه بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضي اللـه عنه . وقد توفي عن ثلاثة وستين عاماً . وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

[102] أسامة بن زيد : حب رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، ومولاه . استعمله النبي صلى اللـه عليه وسلم على جيش لغزو الشام ، وفي الجيش عمر والكبار ، فلم يسر حتى توفى رسول اللـه ، فبادر الصديق ببعثهم ، فأغاروا على أبنى ، من ناحية البلقاء . قال ابن سعد : مات في آخر خلافة معاوية .

عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله؟

قالت: فقام رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) على المنبر فاستعذر من عبد الـلـه بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالـلـه ما علمت على أهلي إلا خيراً. وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ الانصاري[103] فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الـلـه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عُبادة[104] وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً أجهلته الحمية فقال لسعد بن معاذ: كذبت والـلـه لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عُبادة كذبت، لعمر الـلـه

[103] سعد بن معاذ : ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، السيد الكبير الشهيد ، أبو عمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي البدري ، الذي اهتز العرش لموته . ومناقبه مشهورة في الصحاح ، وفي السيرة ، وغير ذلك .
قال ابن شهاب : وشهد بدراً سعد بن معاذ . ورمي يوم الخندق ، فعاش شهراً ، ثم انتفض جرحه فمات .

[104] سعد بن عبادة : السيد الكبير الشريف ، أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني ، النقيب سيد الخزرج . له أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر . مات قبل أوان الرواية . روى عنه سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، مرسل . كان ملكاً شريفاً مطاعاً . وقد التفت عليه الأنصار يوم وفاة رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم ليبايعوه ، وكان موعوكاً ، حتى أبو بكر والجماعة فردوهم عن رأيهم ، فما طاب لسعد . مات بحوران سنة ست عشرة .

لنقتله، فإنك منافق (قال له ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله) تجادل عن المنافقين. فثار الحيّان (أي تناهضوا للنزاع والعصبية) الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) قائم على المنبر فلم يزل رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي. فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء. قالت فتشهد رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك اللـه عز وجل، وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري اللـه عز وجل وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب اللـه عليه.

قالت: فلما قضى رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبي: أجب عني رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) فيما قال، فقال: واللـه ما أدري ما أقول

لرسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) ؟ فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني واللـه لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة واللـه يعلم إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولأن اعترفت لكم بأمرٍ واللـه يعلم أني بريئة لتصدقوني وإني واللـه ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف:

(وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللـهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ {18/12} وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللـهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ {19/12}) يوسف: ١٧ - ١٨

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا واللـه حينئذٍ أعلم أني بريئة وأن اللـه مبرئي ببرائتي، ولكن واللـه ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم اللـه عز وجل فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) في النوم رؤيا يبرئني اللـه بها، قالت: فواللـه

ما رام رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الـلـه عز وجل على نبيه (صلى الـلـه عليه وسلم) فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[105] .

عند الوحي حتى إنه كان ليتحدر منه مثل الجُمان من القرق في اليوم الممطر من ثقل القول الذي أُنزل عليه. قالت: فلما سُرى عن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الـلـه فقد برأك. فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: والـلـه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الـلـه هو الذي أنزل برائتي، قالت: فأنزل الـلـه عز وجل :

(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {12/24} لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ الـلـهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ {13/24} وَلَوْلَا فَضْلُ الـلـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {14/24} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ الـلـهِ عَظِيمٌ {15/24} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ {16/24} يَعِظُكُمُ الـلـهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {17/24} وَيُبَيِّنُ الـلـهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَالـلـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {18/24} إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

---

[105] الشدة .

الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالـلـهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {19/24} وَلَوْلَا فَضْلُ الـلـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ الـلـهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ {20/24} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ الـلـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ الـلـهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَالـلـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {21/24} وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الـلـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الـلـهُ لَكُمْ وَالـلـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {22/24} إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {23/24} يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {24/24})النور: ١١ - ٢٤

فأنزل الـلـه عز وجل هذه الآيات لبرائتي فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والـلـه لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل الـلـه عز وجل:

(**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الـلـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الـلـهُ لَكُمْ وَالـلـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {22/24}**)النور: ٢٢

فقال أبو بكر الصديق والـلـه إني لأحب أن يغفر الـلـه لي. فرجع إلي مسطح لنفقته التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) سأل زينب بنت جحش زوج رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) عن أمري ما علمت أو ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الـلـه احمي سمعي وبصري، والـلـه ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) فعصمها الـلـه بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط. (أخرجه في الصحيحين).

لقد قصدوا بذلك هذه صورة الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) في نظر أصحابه فطعنه المنافقون في عرضه، وأي عرض! إنها ابنة صاحب أبي بكر أحد المبشرين بالجنة، لكنهم لم ينالوا من رسول الـلـه شيئاً فعزز الـلـه سبحانه وتعالى موقف عائشة لما أنزل فيها قرآناً واظهر حقد الحاقدين وثبت رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم).

إذاً لقد تعرض الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) لأنواع من الإشاعة، وهي حرب نفسية في نفوس المنافقين المريضة، لفرض التأثير على عقول وعواطف الخصم لكي

يتصرف وفقاً لما ينسجم وسياسة المستخدم ووفقاً لخططه المرسومة وتحطيم إيمان الخصم بعقيدة وتحطيم الوحدة النفسية للخصم، وهو ما حاول المشركين استخدامه ضد المسلمين فيما ورد سابقاً.

أما عن الإشاعة في الميدان العسكري من حياة الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) ، فبعد غزوة بدر[106] قويت شوكة المسلمين وعز شأنهم، وهابتهم العرب، وما كان اليهود ليذروا المؤمنين يحصدون ثمرة النصر كاملة ويستثمرون غلبتهم على قريش في تحصين مواقعهم النفسية، وإلقاء الرعب في نفوس أعدائهم. ومن هنا سارع اليهود الى التهوين من شأن هذا الانتصار، والتقليل من قيمته العسكري بل والإدعاء بهزيمة المسلمين وتفرق شملهم.

كان للنصر الذي أحرزه المسلمون في بدر آثاره السيئة على نفوس اليهود والمشركين، فما أن سمعوا أنباءه قبل أن يعود المسلمون إلى المدينة، حتى حاولوا إخفاءه وعملوا على التشكيك في إمكان وقوعه، وحاولوا إقناع أنفسهم بعدم

[106] غزوة بدر الكبرى : وسببها أن النبي صلى الـلـه عليه وسلم سمع بعير تجارية لقريش قادمة من الشام بإشراف أبي سفيان بن حرب ، فندب المسلمين إليها ، ليأخذوها لقاء ماتركوا من أموالهم في مكة ، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون ، إذا لم يكونوا يتصورون قتالاً في ذلك .وتحسس أبو سفيان الأمر وهو في طريقه إلى مكة ، فبلغه عزم المسلمين على خروجهم لأخذ العير ، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ليخبر قريشاً بالخبر ويستفزهم للخروج محافظة على أموالهم .
فبلغ الخبر قريشاً فتجهزوا سراعاً ، كلهم قاصدين الغزو ، حتى إنه لم يتخلف من أشراف قريش أحد ، وكانوا قريباً من ألف مقاتل .

صحة ما سمعوا، فقالوا أن محمداً قد قتل وأن أصحابه قد هزموا وأخذوا يؤيدون قولهم بوجود ناقة الرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) مع زيد بن حارثة، وكان الرسول قد بعثه بأخبار النصر الى المدينة. فلما تحقق خبر الانتصار سقط في يد الأعداء، وزادت حسرتهم لما أصبحوا عليه من الهوان والمذلة حتى قال بعضهم : بطن الارض خير من ظهرها.

أما عن غزوة أحد[107]، فقد حرصت قريش منذ نكبتها في بدر على الأخذ بثأرها من المسلمين وصممت على الاستعداد عسكرياً لإستعادة كرامتها وشرفها، وقرر زعماء قريش رصد أرباح قافلة أبي سفيان التي نجت من المصادرة قبل معركة بدر لتغطية معركة الثأر وقد قدر مبلغها خمسين ألف دينار. علاوة على ذلك فقد عمل زعماء قريش على حشد أكبر عدد ممكن من المقاتلين من أجل خوض هذه المعركة لذا فإنهم لم يكتفوا برجال قبيلة قريش وحدها،

[107] غزوة أحد : سببها أن بقية من زعماء قريش ممن لم يقتلوا في غزوة بدر ، اجتمع رأيهم على الثأر لقتلاهم في غزوة بدر ، وأن يستعينوا بعير أبي سفيان وما فيها من أموال لتجهيز جيش قوي لقتال رسول الـلـه (صلعم). فاجتمعت كلمة قريش على ذلك ، وانضم إليهم أيضاً ممن يسمون بالأحابيش ، واستعانوا بعدد كبير من النسوة كي يمنعن الرجال من الفرار إذا أحدق بهم المسلمون . وخرجوا من مكة وقد بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل.

ثم إن النبي صلى الـلـه عليه وسلم خرج من المدينة في ألف من أصحابه ، وذلك يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس أثنين وثلاثين شهراً من هجرته ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخذل عبدالـلـه بن أبي سلول بثلث الجيش _ وعامتهم من شيعته وأصحابه _ وكر راجعاً بهم وهو يقول : " عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له ، وماندري علام نقتل أنفسنا؟ " .

بل حاولوا إشراك حلفائهم معهم في القتال، فدعوا قبيلة ثقيف وعبد مناه، والأحابيش للمساهمة معهم.

وهذه الغزوة لم تخلوا من الإشاعات، ففي أثناء هذه الغزوة أشاعت قريش خبر مقتل رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) ، وقد كانوا قتلوا مصعب بن عمير[108] رضي اللـه عنه وظنوه الرسول (صلى اللـه عليه وسلم). وتركت هذه الاشاعة آثارها في نفوس الصحابة رضي اللـه عنهم، يقول تعالى . تعليقاً على موقف الصحابة، وتصحيحاً للتصور في قوله للمؤمنين:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللـهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللـهُ الشَّاكِرِينَ {144/3}) آل عمران: ٤٤

ومن تحليل ما سبق يتبين لنا أن أشاعت قريش خبر مقتل الرسول (صلى اللـه عليه وسلم)، لغرض زعزعة ثقة المسلمين بأنفسهم وتخويفهم وهزيمتهم، وكما هو معلوم أن

[108] مصعب بن عمير : السيد الشهيد السابق البدري القرشي . قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، فقلنا له : ما فعل رسول اللـه ؟ فقال : هو مكانه ، وأصحابه على أثري . قتل يوم أحد ، قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول اللـه حتى قتل ، قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظنه رسول اللـه ، فرجع إلى قريش ' فقال : قتلت محمداً ، فلما قتل مصعب . أعطى رسول اللـه اللواء علي بن أبي طالب ، ورجالاً من المسلمين .

الحرب النفسية تتضمن أي عمل من شأنه إجبار الخصم أن يحول رجاله وعتاده من الجبهة النشطة استعداداً لصد هجوم لم يأت.

والمعلوم أن المشركين حاولوا زعزعة نفوس المسلمين بإشاعة مقتل الرسول (ص)، فكما قلنا سابقاً أن من أبرز أهداف الحرب النفسية تحطيم الوحدة النفسية للخصم..

فقد حاول المشركين بهذه الاشاعة تحطيم معنويات المسلمين والتشكيك في قدرتهم على المقاومة وخلق روح الاستسلام وعدم الثقة بالنفس عند المسلمين. هذا ما حاول المشركين فعله.

هذا ولقد خاض المسلمون المعركة تحت شعار أمت، أمت واستطاعوا اختراق صفوف المشركين وإجبارهم على التراجع حتى بدا لهم أن النصر قد بات في متناول أيديهم، مما شجع سرية الرماة التي كانت تحمي ظهور المسلمين فوق الجبل على مغادرة مواضعها لمشاركة مقاتلة المسلمين في جني ثمار النصر، وبذلك اختلت خطة المسلمين الحربية مما ساعد المشركين على القيام بحركة التفاف سريعة من خلال الاستيلاء على مواضع الرماة ومحاصرة المسلمين وهكذا فقد انقلب النصر إلى هزيمة، واضطربت صفوف المسلمين وأخذوا يقاتلون من أجل إنهاء المعركة بأقل خسارة ممكنة.

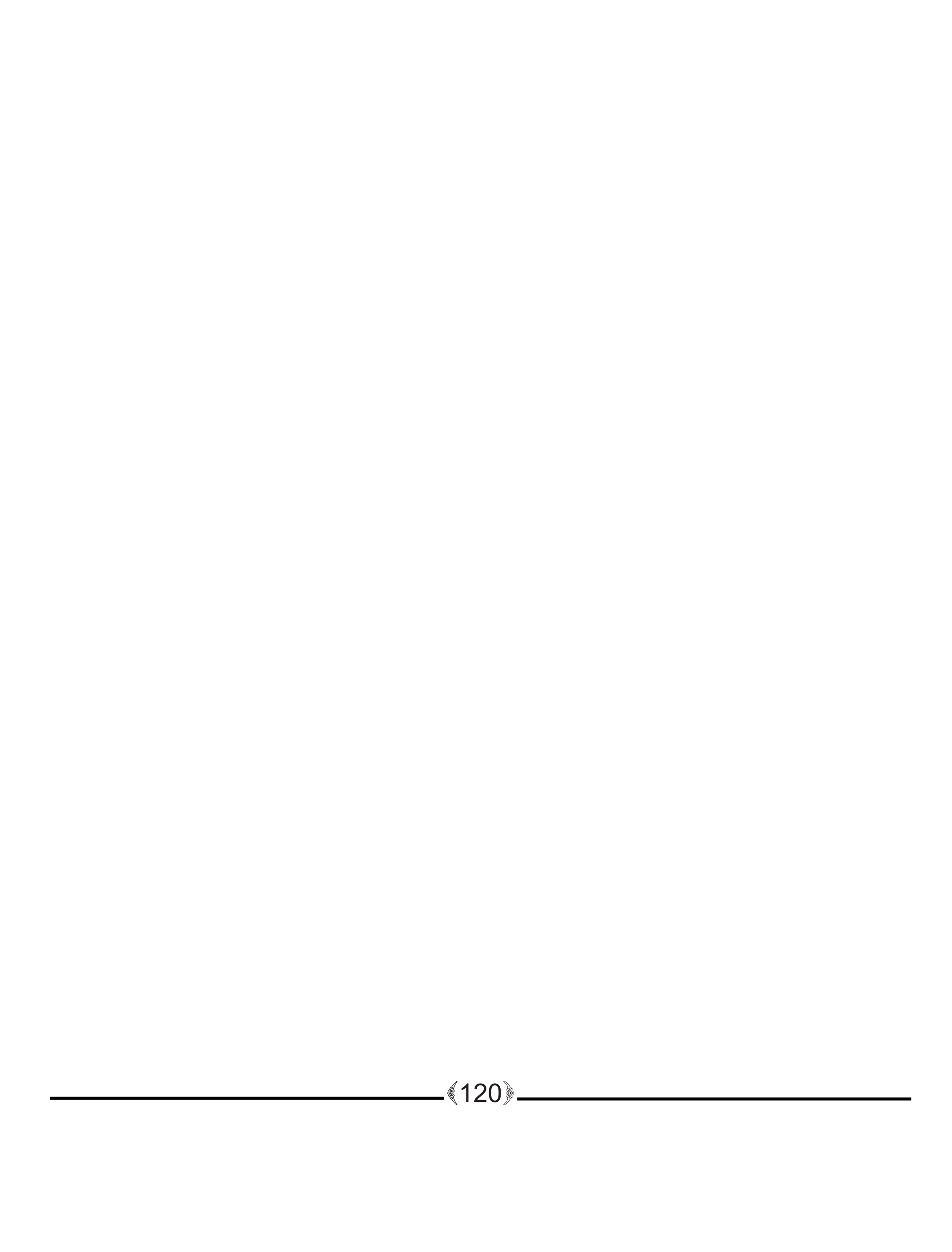
قال في الظلال مُعلقاً على هذه الآية بقوله أنها تشير إلى واقعة معينة حدثت في غزوة أُحد، ذلك حين انكشف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين، وكسـرت رباعية الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) وشج وجهه، ونزفت جراحه، وحين اختلطت الأمور، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر. حينئذٍ نادى منادٍ: أن محمداً قد قُتل. وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين. فانقلب الكثيرون منهم عائدين إلى المدينة، مصعدين في الجبل منهزمين، تاركين المعركة يائسين، لولا أن ثبت رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) في تلك القلة من الرجال، وجعل ينادي المسلمين وهم منقلبون، حتى فاءوا إليه.

ومما سبق يتبين لنا أن انكشاف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل، فركبه المشركون، وأوقعوا بالمسلمين. وكسرت رباعية الرسول (صلى اللـه عليه وسلم)، وتفرق المسلمون، لا يدري أحدهم مكان الآخر يتبين أن الحرب النفسية التي استخدمها المشركين قد لاقت نجاح في بادىء الأمر في تحقيق أغراضها وأهدافها بظروف الفوضى والاضطرابات في صفوف المسلمين. ومع ذلك فلم تفلح قريش في بث هذه الإشاعات فالحرب يوم بيوم فقد انتصر محمد (صلى اللـه عليه وسلم) في بدر وما زادته أحد إلا ثباتاً. إذا كان هذا حال الأنبياء والمرسلين فما هو حال أعلامنا .

الفصل الثالث

الإفتراءات في زمن الصحابة

رضوان الـلـه عليهم



الإفتراءات في زمن الصحابة رضوان الـلـه عليهم:

تولى أبو بكر الصديق[109] رضي الـلـه عنه أمر المسلمين، وواجه أمور هامة استطاع بإيمانه بالـلـه والإقتداء بالرسول (صلى الـلـه عليه وسلم) أن يتجاوزها ويخرج منها منتصراً وهي، محاربة الممتنعين عن الزكاة، ومحاربة المرتدين عن الإسلام، ومحاربة المتنبئين، وإنفاذ جيش أسامة. وعندما تجمعت هذه المشاكل أمام خليفة رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم)، استشار أصحابه والمسلمين فيما يفعل، فذهب أكثر المسلمين أن لا

[109] أبو بكر الصديق رضي الـلـه عنه : اسمه عبد الـلـه بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة ، بعد وفاة رسول الـلـه ، وتشاوروا فيمن ينبغي أن يخلف رسول الـلـه في قيادة المسلمين ورعاية أمورهم ، أجتمعت كلمتهم جميعاً على أن يكون أول خليفة لرسول الـلـه من بعده ، أبو بكر رضي الـلـه عنه .

وأهم ما قام به أبو بكر في مدة خلافته :

اولاً : تجهيزه وتسييره لجيش أسامة .

ثانياً : جهز الجيوش لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة ، وعقد أحد عشر لواء ، وأمر صاحب كل لواء بالتوجه إلى جهة .

ثالثاً : جهز الصديق خالداً إلى العراق ، وبعث معه المثنى بن حارثة الشيباني ، ففتحوا بلاداً كثيره ، وعادوا منتصرين غانمين .

رابعاً : حدثته نفسه بغزو بلاد الروم . وتوجه المسلمون إلى بلاد الروم . واجتمعوا في اليرموك ، وأرسلوا إلى أبي بكر يخبرونه بكثافة جموع الروم ، فكتب رضي الـلـه عنه إلى خالد بن الوليد بالعراق يأمره بالتوجه إلى الشام ، وأن يأخذ نصف الجيش المرابط في العراق ليكون ردءاً لجيش أبي عبيدة ، وأن يستخلف على النصف الباقي المثنى بن حارثة ، وأمره أن يتولى جيوش الشام بمجرد أن يصل إليها.

فسار خالد حتى وصل إلى المسلمين في الشام ، ثم التقى المسلمون والروم ، والتحم القتال بينهم ، في سلسلة من المعارك ، دامت مدة من الزمن . وكان نهايتها النصر للمسلمين ، وقتل من الروم عدد كبير .

طاقة لهم بحربِ العرب أجمعين، فذهب البعض الآخر أنه لا داعي للحرب مع مانعي الزكاة ما داموا ثابتين على إيمانهم.

فعن أبي هريرة رضي الـلـه عنه قال: لما توفي رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) وكان أبو بكر رضي الـلـه عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر[110] رضي الـلـه عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم): (أُمرت أن أُقاتل الناس؟ حتى يقولوا لا إله إلا الـلـه، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الـلـه)، فقال: والـلـه لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والـلـه لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الـلـه عنه: فوا لله ما هو إلا أن قد شرح الـلـه صدر أبي بكر رضي الـلـه عنه بالقتال، فعرفت أنه الحق[111].

وبذلك استقر رأي خليفة رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) على الوقوف في وجه هذه المشكل ليعيد من فقد صوابه إلى الصواب مستعيناً بالـلـه، وقد استجاب المسلمين إلى قرار أبي بكر.

---

[110] ستتقدم ترجمته .

[111] رواه البخاري بالمختصر رقم (1399- 1400).

فكما قلنا فبعد أن قبض الهادي صلوات الـلـه وسلامه عليه، كاد أن ينهار البنيان لولا يقظة الصديق وشدة عمر بن الخطاب[112] رضي الـلـه عنهما الذين عملا جاهدين على توحيد كلمة العرب بين المهاجرين والأنصار في مسألة الخلافة التي ألهم الـلـه المسلمين فيها الصواب.

فقد أخرج النسائي وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: لما قبض رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فآتاهم عمر بن الخطاب رضي الـلـه عنه، فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الـلـه تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقال الأنصار: نعوذ بالـلـه أن نتقدم أبا بكر.

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال: قُبض رسول الـلـه واجتمع الناس في دار سعد بن عُبادة وفيهم أبو بكر وعمر، فقام خطباء

---

[112] عمر بن الخطاب : بن نفيل بن عبد العزى ، هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لقبه رسول الـلـه بالفاروق ، لأنه فرق بين الحق والباطل بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبوبكر الصديق كان من أشراف قريش أشتهر قومه بالشرف والمجد ، ولد بعد حادثة الفيل بثلاثة عشرة سنة .
أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون عاماً ، هذا وإليه السفارة في الجاهلية فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه منافراً أو مفاخراً .
هذا وقد سر المسلمون كثيراً بإسلامه ، وبعد إسلامه ظهر الإسلام بمكة وفرح به المسلمون ، وقد طلب عمر بن الخطاب رضي الـلـه عنه إلى النبي صلى الـلـه عليه وسلم أن يأذن له بالجهر بإسلامه أمام قريش فأذن له . روي له عن رسول الـلـه 539 حديثاً .
قتل رضي الـلـه عنه غدراً على يد عبد مجوسي غير مسلم ، يقال له (فيروز) ويكنى أبا لؤلؤة المجوسي ، إذ طعنه وهو يصلي الفجر ، فاستشهد رضي الـلـه عنه متأثراً بجراحه ، وكان ذلك في السنة الثالثة والعشرين للهجرة ، ودفن إلى جانب صاحبيه النبي صلى الـلـه عليه وسلم وأبي بكر رضي الـلـه عنه .

الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت[113] فقال: أتعلمون أن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم)، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، ثم أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر ثم بايعه في وجوه القوم، فلم يرى الزبير، فدعى بالزبير فجاء، فقال: قلت ابن عمة رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول اللـه فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم يرى علياً، فدعا به فجاء فقال: قلت

[113] زيد بن ثابت : ابن الضحاك ، الإمام الكبير ، شيخ المقرئين ، كاتب الوحي . حدث عن النبي صلى اللـه عليه وسلم وعن صاحبيه ، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله ، ومناقبه جمة ، وتلا عليه ابن عباس وغير واحد . وكان من حملة الحجة ، وكان عمر بن الخطاب يستخلفه إذا حج على المدينة .

هو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك . وقد قُتل أبوه قبل الهجرة يوم بعاث ، فربي زيد يتيماً . وكان أحد الأذكياء ، فلما هاجر النبي صلى اللـه عليه وسلم ، أسلم زيدٌ ، وهو ابن إحدى عشرة سنة فأمره النبي صلى اللـه عليه وسلم أن يتعلم خط اليهود ، ليقرأ له كتبهم ، قال : " فإني لا آمنهم " .

ابن عم رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الـلـه فبايعه [114].

وهكذا اختاروا أبا بكر الصديق رضي الـلـه عنه، خليفة للمسلمين، ليكون أول خليفة، فعمل جاهداً على توحيد كلمة المسلمين.

فعندما تولى ابو بكر الصديق الخلافة بعد رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) فأطل عليه المتنبئون برؤوسهم يعلنون النبوة، رأى أبو بكر المتنبئين يدّعون النبوة في شبه الجزيرة العربية، إذ ظن كل مدعي نبوة أنه قادر على ما قدر عليه النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) في الحجاز وما جاوره، ولم يعلم أنها رسالة السماء وخاتمة الرسالات السماوية لهداية كافة البشر لخروجهم من الظلال إلى النور.

وقد ظن المدعون أن المسألة مسألة كهانة وأشجاع وأتباع فنجم في اليمن مدعى نبوة هو الأسود العنسي يلقب بذي الخمار "كان كاهناً يرى قومه الأعاجيب ويجذبهم بحلاوة منطقه، ادعى النبوة حين مرض النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) واتبعته فرجح عامة. وقد قتل في زمن رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم)، ونجم في أسد وغطفان طليحة الأسدي، وفي بني حنيفة باليمامة مسيلمة الكذاب، وفي عُمان كعب بن زرارة،

[114] تهذيب سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، تهذيب أحمد فايز الحمصي –بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1999م.

وفي العراق ظهر سجاح في أخوالها من بني بكر ورهطها من بني تميم. أعلن المتنبئون العصيان والتمرد على حكم المدينة، فقد رفضت القبائل فريضة الزكاة واعتبروها جزية تدفع للمدينة، وأن هذا الدين ليس لهم فيه منفعة إلا الغرم وأنهم كانوا يأخذون من كسرى ومن قيصر قبل ظهور الإسلام، فلما فرضت الزكاة دفعوها لرسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، فلما توفى رسول اللـه (صلى اللـه عليه وسلم) امتنعوا عن دفعها واعتبروها جزية تأخذها قريش. إذا أمعنا النظر فيما سبق نجد أن كل مدعى للنبوة، وظنه على أنه قادر على ما قدر عليه النبي (صلى اللـه عليه وسلم) في الحجاز وما جاوره، إشاعة وهي عبارة عن قضية مقدمة للتصديق تخلوا تماماً من الصدق، إذ هي إشاعة واضحة هدفها التضليل عن الحق الذي جاء به خاتم النبيين محمد (صلى اللـه عليه وسلم)، وهدف هذه الإشاعة تقديم قضية كاذبة تهدف أن هناك أنبياء بعد النبي محمد (صلى اللـه عليه وسلم) ، وهو ما تهدف عبارات هؤلاء المدعين الكاذبين بأنهم أنبياء، ونسيانهم أنها رسالة السماء وخاتمة الرسالات السماوية لهداية البشر أجمعين [115].

[115] كامل ، عمر عبد اللـه ، الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة (محاولة للتقريب بين أهل السنة والشيعة وفقاً للأسس العلمية) ، عمان، ط1 ، دار البيارق للنشر والتوزيع ، 2001م.

أما عن الفرائض الأخرى فمنهم من كان يستثقلها على نفسه ومنهم من أنف من السجود وتعاظم أن يسجد لله بجبهته فقال طليحة الأسدي : (إن الـلـه لا يُصنع بتعفير وجوهكم فاذكروا الـلـه قياماً فإن الصرع تحت الرغوة). وكما قلنا سابقاً لولا إيمان أبو بكر الصديق بالـلـه وإقتدائه بسنة نبيه محمد (صلى الـلـه عليه وسلم) أن يتجاوز هذه الأمور وأن يخرج منها منتصراً.

إذ واجه خليفة رسول الـلـه هذه الصعوبات واستطاع هو ومن معه من المسلمين بإيمانهم الخروج من هذه الأمور منتصرين.

ونضرب أمثلة أخرى عن الإشاعة التي أصابت بعض الصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص[116]، الذي أسلم قديماً وهو ابن عشرة سنوات، وقال: كنت ثالثاً في الإسلام. فعن علي، قال: ما سمعت رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) يفدي أحداً بأبويه إلا سعد بن أبي وقاص، فإني سمعته يقول له في يوم أحد: (ارم سعد، فداك أبي

---

[116] سعد بن أبي وقاص : الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي : أحد العشرة ، وأحد السابقين ، وأحد من شهد بدراً والحديبية ، وأحد السنة أهل الشورى . روى جملة صالحة من الحديث ، له في الصحيحين ، خمسة عشر حديثاً ، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث ، ومسلم بثمانية عشر حديثاً .
عن سعيد بن المسيب ، سمعت سعداً يقول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمت ،؟ ولقد مكثت سبع ليال ، وإني لثلث الإسلام .
ومن مناقب سعد أن فتح العراق كان على يدى سعد ، وهو كان مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية ، ونصر الـلـه دينه ، ونزل سعد بالمدائن ، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء ، فكان النصر على يده ، واستأصل الـلـه الأكاسرة .

وأمي) (رواه البخاري) فهذا الصحابي الجليل تعرض للإشاعة، إلا أن الـلـه سبحانه وتعالى استجاب دعوته فكانت براءته، أما عن هذه الإشاعة، فعن جابر بن سمره رضي الـلـه عنه قال: شكا أهل الكوفة سعداً رضي الـلـه عنه إلى عمر رضي الـلـه عنه، فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا انه لا يحسن يصلّي، فأرسل إليه فقال: يا أبا اسحق إن هؤلاء يزعمون انك لا تحسن تُصلي؟ قال أبو اسحاق: أما أنا، والـلـه فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين، وأخف في الآخريين، قال: ذلك الظن بك يا أبا اسحاق، فأرسل معه رجلاً، أو رجالاً، إلى الكوفة، فسأل عنه، أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبسٍ، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يُكنى أبا سعده، قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال: سعدٌ: أما والـلـه لأدعون بثلاثٍ:" الـلـهم إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياء وسمعة، فاطل في عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذ سئل يقول: شيخٌ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وأنه ليتعرض

للجواري في الطرق يغمزهن"[117]. وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد[118] أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم)؟ قال: وما سمعت من رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم)؟ قال: سمعت رسول الـلـه (صلى الـلـه عليه وسلم) يقول: (من أخذ شبراً من الأرض ظُلماً طوقه إلى سبع أرضين) فقال له مروان: لا أسألك بينه بعد هذا، فقال: الـلـهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت) [119].

إذ لولا ظهور الحق في هذه الإشاعات، لكان لها الأمر السلبي على التاريخ، ولا ننسى قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الـلـه عنه(دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة) إذاً فهذا هو نهاية الباطل.

[117] رواه البخاري بالمختصر رقم (755).

[118] سعيد بن زيد: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن السابقين الأولين البدريين ، ومن الذين رضي الـلـه عنهم ورضوا عنه . شهد المشاهد مع رسول الـلـه ، وشهد حصار دمشق وفتحها ، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح ، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة .

له ثمانية وأربعون حديثاً ، فله حديثان في الصحيحين وانفرد له البخاري له بحديث .

وامرأته هي ابنة عمه فاطمة ، أخت عمر بن الخطاب .

أسلم سعيد قبل دخول النبي صلى الـلـه عليه وسلم دار الأرقم .

[119] أخرجه مسلم : باب المساقاة برقم 138 – 139 / 140- 141 .

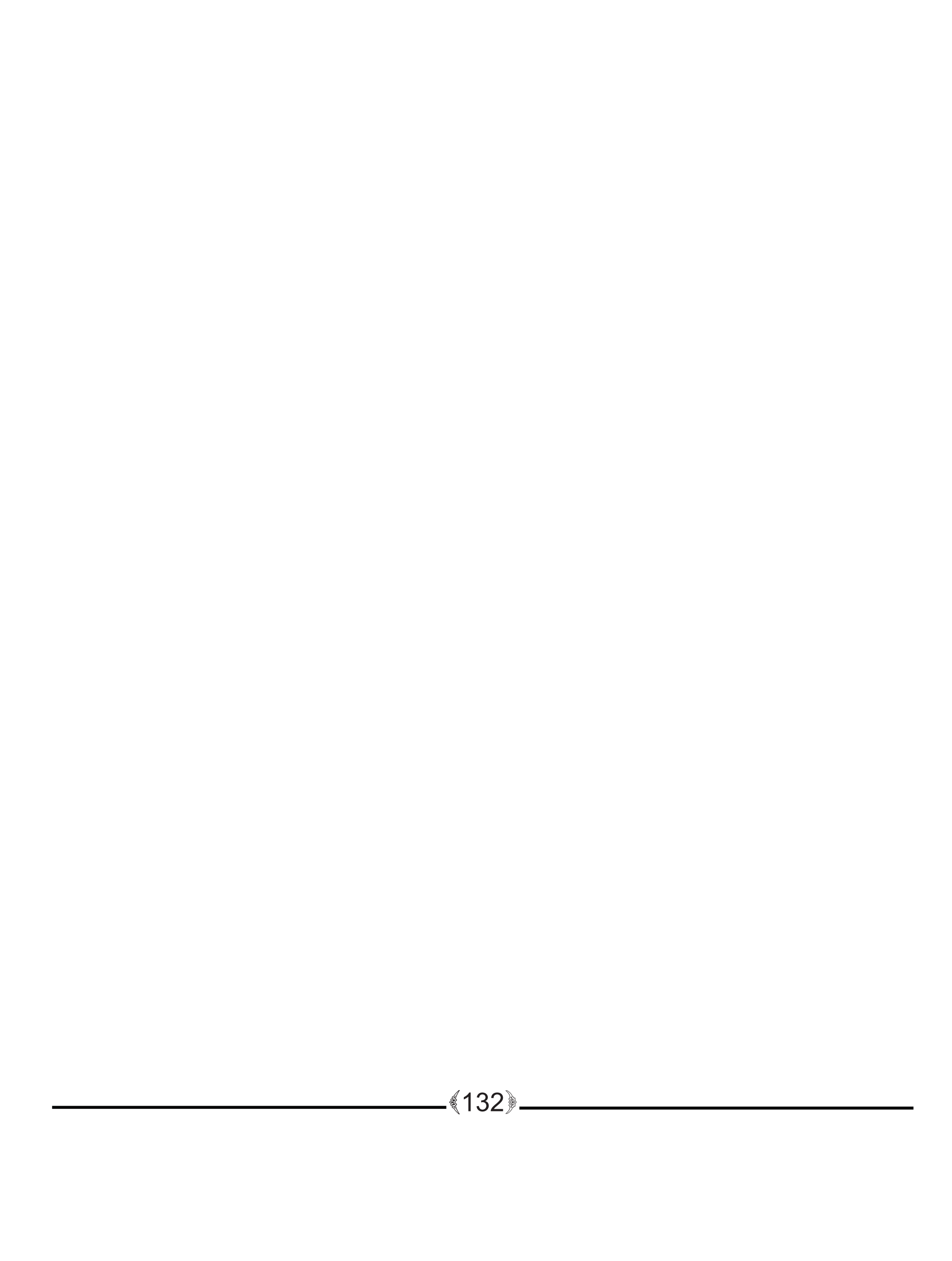
فكان حال الصحابة من الإشاعات، كما هو حال النبي (صلى اللـه عليه وسلم)، والأنبياء صلوات اللـه عليهم أجمعين. إلا أن إيمانهم باللـه سبحانه وتعالى. والإقتداء بسنة النبي (صلى اللـه عليه وسلم) هي القادرة على إظهار الحق.

ونستنتج مما سبق أن الإشاعة لم تتوقف على النبي (صلى اللـه عليه وسلم) بل جاوزت لتجرف الصحابة في هيجان البحر المدمر. لولا ظهور الحق في نهاية المطاف. هذا فلم تفلح أسلحة المنافقين الفتاكة في خلق إشاعة كاذبة حول هؤلاء الصحابة الكرام، فهي إشاعات كاذبة بلا براهين أو دليل واضح. كانت تهدف إلى تحطيم بنية الإسلام وتماسكه. إلا أنها باءت بالفشل الذريع.

الفصل الرابع

الافتراءات حول الأمير

بهاء الدين قراقوش



أولاً :الا فتراءات حول الأمير بهاء الدين قراقوش :

عندما فشل أعداء الإسلام في مواجهة الإسلام بالقوة العسكرية فكان لا بد من لجوئهم للغزو الثقافي فسخروا الأساليب ومن ضمنها الإستشراق، وكما قلنا فالإستشراق حركة علمية يراد منها دراسة التراث الشرقي في معتقداته، وآدابه، للاستفادة منه والرد عليه.

ولكن ليس لحباب عيون الإسلام، ولكن للتعرف على منابع هذا التراث، هدفهم إبعاد أهله عنه، ليولوا وجوههم شطر الغرب، ولقد عبث أعداء الإسلام بتاريخ أمتنا ورجالها العظام عبثاً كبيراً، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في معظم ما كتب ويكتب حول تاريخ الإسلام وسير أعلامه.

فهذا البطل من أبطال الإسلام تعرض لمقولات وأكاذيب، تتناقض كل التناقض مع سيرة هذا البطل العظيم من أبطال الإسلام كانت له صفحات منيرة في تاريخها المشرق مما جعله محط مؤامرات أعداء الإسلام وكيدهم. وأميرنا هذا المفترى عليه هو (بهاء الدين قراقوش) [120].

فلقد كان بهاء الدين قراقوش عبداً رومياً فرَّ من إحدى قرى آسيا الوسطى وانتقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى بلاد الشام وكان فيها قائدان عظيمان. وفي

[120] حشيمة ، سامر محي الدين، الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش، عمان ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2004م.

دمشق تسمّى الأمير بهاء الدين باسم (بهاء الدين بن عبد اللـه الأسدي) فأما تسميته بابن عبد اللـه فكناية عن أنه لم يعرف له أب مسلم. وأما عن وصفه بالأسدي فنسبه إلى القائد أسد الدين شيركوه الذي اشتراه وقام على تهذيبه وتعليمه، وكان سبباً في اعتناقه الإسلام. وما لبث بهاء الدين قراقوش أن ارتقى في سلّم الجيش حتى وصل الى مرتبة الإمارة. وكان على رأس هذا الجيش قائده البطل أسد الدين شيركوه، دخل مصر في أواخر الدولة الفاطمية[121]، وكان قصده تهدئة الأحوال بها، ثم انتهى الأمر على يد القائد صلاح الدين الأيوبي

---

[121] الفاطميون : ما فتئ الأئمة الفاطميون في إفريقية يخططون لفتح مصر بدون يأس أو ملل ، واتخاذها مقراً لسلطانهم ، ومنطلقاً لنشر دعوتهم ، لما تتمتع به مصر من موقع متوسط بين الأقطار الإسلامية ' وعلى الرغم من الفشل الذريع الذى منى به عبيد اللـه المهدى في تحقيق هذا الهدف عدة مرات ، فإن الإمام الإسماعيلي الرابع استطاع أن ينجز هذا العمل الكبير بواسطة قائده المظفر جوهر الصقلى سنة 358 هجري ، أي بعد نحو نصف قرن من محاولات جده عبيد اللـه، ولكن من الغرابة بمكان أن الإمام المعزلدين اللـه الذي فتحت مصر باسمه لم ينشط للانتقال إليها ' بل تمهل في ذلك كثيراً ، ربما لأن الدعوة الفاطمية التي كان يقوم بها بعض الدعاة قبل الفتح لم تأت بثمره يطمأن إلى خباها .

كان في مقدمة الدعاة الأسماعيليين الذين وفدوا إلى مصر قبل فتحها ليمهدوا الساحة ، والداعى فيروز ، والداعى أبو علي ، وغيرهم ، وقد بدأ وفود هؤلاء إلى مصر مع مولد الخلافة الفاطمية في إفريقية ، واستمر الحال على هذا المنوال من النشاط في عهد الخلفاء الفاطميين الأربعة على التوالي وهم : عبيد اللـه المهدى ، ثم القائم بأمر اللـه أبو القاسم محمد – وفي بعض الر وايات عبد الرحمن – والمنصور باللـه أبو طاهر إسماعيل ، ثم المعز لدين اللـه أبو تميم معدَ .

من القضايا المسلم بها أن أعظم دولة فاطمية إسماعيلية قامت هي تلك التي كانت بمصر ، وقضت في الحكم نيفاً وقرنين من الزمان ، وذلك من سنة 358 هجري وهي السنة التي استولى فيها جوهر الصقلى على مصر ، إلى سنة 567 هجري ، وهي السنة التي توفى فيها الخليفة العاضد ، آنذاك سقطت دولة مهما قيل في شأنها فرضت نفسها على مسيرة التاريخ الإسلامي عبر التاريخ.

[122] فيما بعد إلى إزالة هذه الدولة وإنهائها. وإقامة الدولة الأيوبية مكانها، فكان الأمير بهاء الدين قراقوش ثالث ثلاثة أتو إلى مصر لهذه الغاية، والاثنان الأولان هما أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي [123].

---

[122] الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب:(1138 - 1193م)، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر وأمتد سلطانه إلى مدن الشام و شمال العراق و بلاد اليمن و الحجاز. اشتهر بلقبه السابق صلاح الدين في دمشق قبل أن يصبح سلطاناً لمصر وتسمى بالملك الناصر، استولى على أغلب مدن مملكة بيت المقدس وفتح عاصمتها القدس الأمر الذي أدى لقيام الحملة الصليبية الثالثة.

مولده : ولد صلاح الدين في تكريت عام 532 هـ/1138م (حالياً في العراق) في ليلة مغادرة والده نجم الدين أيوب قلعة تكريت حينما كان والياً عليها، ويرجع نسب الأيوبيين إلى أيوب بن شاذي بن مروان من أهل مدينة دوين في أرمينيا، ويرجع ابن الأثير نسب أيوب بن شاذي بن مروان إلى الأكراد الروادية وهم فخذ من الهذبانية، بينما يرفض بعض ملوك الأيوبيين هذا النسب وقالوا: "انما نحن عرب، نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم". الأيوبيون نفسهم اختلفوا في نسبهم فالملك المعز إسماعيل صاحب اليمن أرجع نسب بني أيوب إلى بني أمية وحين بلغ ذلك الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب قال كذب إسماعيل ما نحن من بني أمية أصلاً. أما الأيوبيون ملوك دمشق فأنهم أثبتوا نسبهم إلى بني مرة بن عوف من بطون غطفان وقد أحضر هذا النسب على المعظم عيسى بن أحمد صاحب دمشق واسمعه ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود.

وقد شرح الحسن بن داود الأيوبي في كتابه "الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية"ما قيل عن نسب أجداده وقطع أنهم ليسوا أكرادا، بل نزلوا عندهم فنسبوا إليهم. وقال: "ولم أرَ أحداً ممن أدركتُه من مشايخ بيتنا يعترف بهذا النسب".

كما أن الحسن بن داوود قد رجَّح في كتابه صحة شجرة النسب التي وضعها الحسن بن غريب، والتي فيها نسبة العائلة إلى أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي (محمد) بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هُدْبة بن الحُصَين بن الحارث بن سنان بن عمروبن مُرَّة بن عُوف بن أسامة بن بَيْهس بن الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرّة بن نَشبَة بن غَيظ بن مرة بن عوف بن لؤي بن غالب بن فِهر (وهوجد قريش).

وكان نجم الدين والد صلاح الدين قد انتقل إلى بعلبك حيث أصبح والياً عليها مدة سبع سنوات وانتقل إلى دمشق وقضى صلاح الدين طفولته في دمشق حيث قضى فترة شبابه في بلاط الملك العادل الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ملك دمشق . وكان من القادة في جيش نور الدين، أرسله نور الدين من دمشق في الحملات في الشام وإلى مصر ليستكمل عمل عمه أسد الدين شيركوه على رأس الجيش الذي أرسله من دمشق لمواجهة الصليبين في الشام وفي مصر بسط سيطرته عليها والعمل على صد الحملة الصليبية، وفي ذات

الوقت ليستكمل انتزاعها من الفاطميين الذين كانت دولتهم في أفول، فنجح في عرقلة هجوم الصليبيين سنة 1169 بعد موت عمه شيركوه، وقمع تمرداً للجنود الزنوج، كما فرض نفسه كوزير للخليفة للعاضد، فكان صلاح الدين هوالحاكم الفعلي لمصر.

بدايته

كان الوزير الفاطمي شاور قد فر من مصر هرباً من الوزير ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة وقتل ولده الأكبر طيء بن شاور فتوجه شاور إلى الشام مستغيثا بالملك نور الدين زنكي في دمشق وذلك في شهر رمضان 558هـ ودخل دمشق في 23 من ذي القعدة من السنة نفسها فوجه نور الدين معه أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وخدمة جيش الشام وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش هدفان؛ قضاء حق شاور لكونه قصده، وأنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك.

وكان نور الدين كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق على رأس الجيش وفي جمادى الأولى سنة 559هـ فدخلوا مصر وسيطروا عليها واستولوا على الأمر في رجب من السنة نفسها.

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل لشاور مقصودة وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالإفرنج عليه فحاصروه في بلبيس، وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها. ولكن تحت ضغط من هجمات مملكة القدس الصليبية والحملات المتتالية على مصر بالإضافة إلى قلة عدد الجنود الشامية أجبر على الانسحاب من مصر. واعاد الملك نور الدين بن عماد الدين زنكي بأرسال الجيش من دمشق لمجابهة الصليبين. وبلغ إلى علم نور الدين في دمشق وكذلك أسد الدين مكاتبة الوزير الخائن شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافا على مصر أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد هناك فتجهز أسد الدين في قيادة الجيش وخرج من دمشق وأنفذ معه نور الدين العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين، وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقارنا لوصول الإفرنج إليها واتفق شاور والمصريون بأسرهم والإفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة.

وتوجه صلاح الدين في قيادة الجيش إلى الإسكندرية فاحتمى بها وحاصره الوزير شاور في جمادى الآخرة من سنة 562هـ ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا إلى دمشق.

عاد أسد الدين من دمشق إلى مصر مرة ثالثة وكان سبب ذلك أن الإفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون مصر ناكثين العهود مع أسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين في الشام لم يسعهما الصبر فسارعا إلى مصر أما نور الدين فبالمال والجيش ولم يمكنه المسير بنفسه للتصدي لاي محاولة من قبل الإفرنج، وأما أسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله ورجاله وسار الجيش.

أما عن معنى قراقوش فنود تعريف هذا المعنى للقارئ .(قراقوش) لفظ تركي، معناه في اللغة العربية العقاب وهو الطائر الأسود، وبه سمي الإنسان لشهامته وشجاعته، (وقراقوش) بمعنى طائراً أو نسراً.

وترجم له ابن كثير في البداية والنهاية فقال: أنه كرس نفسه للخدمة الإدارية والعسكرية كانت حياة الأمير بهاء الدين قراقوش حافلة بالإنجازات العظيمة والبطولات والإخلاص للإسلام والمسلمين خلال ملازمته القائد صلاح

وكان شاور لما أحس بخروج الإفرنج إلى مصر سير إلى أسد الدين في دمشق الشام يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة 564هـ ولما علم الإفرنج بوصول أسد الدين على رأس الجيش من دمشق إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان وكان وعدهم بمال في مقابل ما خسروه من النفقة فلم يوصل إليهم شيئا وعلم أسد الدين أن شاور يلعب به تارة وبالإفرنج أخرى، وتحقق أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه، فقتله وأصبح أسد الدين وزيرا وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة 564هـ ودام آمرا وناهيا وصلاح الدين يباشر الأمور مقرراً لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة نفسها فمات أسد الدين.

ولما بلغ صلاح الدين قصد الإفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات إليها ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره في شيء ثم نزل الإفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو يشن عليهم الغارات من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل فانتصر عليهم فرحلوا عنها خائبين فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم عدد كبير.

في 1170 أغار صلاح الدين على غزة التي كان يسيطر عليها الصليبيون، وفي السنة التالية انتزع أيلة من مملكة بيت المقدس الصليبية وأغار على مقاطعتي شرق نهر الأردن وقلاع الشوبك والكرك.

[123] المطعني،عبد العظيم ، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية ، القاهرة ،دار المعارف ، بدون تاريخ .

الدين الأيوبي وكذلك بعد وفاته. مما جعله محط كيد الحاسدين وأعداء الإسلام والمسلمين.

ووصلت الجيوش الإسلامية بقيادة القائد أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي لفك حصار الصليبيين عن القاهرة، مما دفع بالصليبيين إلى الانسحاب وفك الحصار دون قتال. وكانت مصر في تلك الآونة تحت حكم الخليفة الفاطمي العاضد. كانت أمام القائد صلاح الدين مهمة صعبة. جاء من الشام من أجل تحقيقها، ألا وهي تحقيق الوحدة الإسلامية بين العراق والشام ومصر. وقد واجهته قوىً ثلاثة تحالفت ضده وكانت تعمل للحيلولة دون تحقيقه لمهمته. الأولى: الإسماعيلية، والثانية قوى الإفرنج (الصليبيين) والثالثة تألب امراء النوريين. وفي عام 567 هـ ضعف أمر الخليفة الفاطمي العاضد وثبت القائد صلاح الدين قدمه بمصر، وأزال المخالفين له وصار القصر الفاطمي يحكم فيه صلاح الدين، ونائبه قراقوش كلهم يرجعون إليه. وأقام صلاح الدين على قصر الخليفة العاضد بهاء الدين قراقوش. يحفظه، فحفظ ما فيه حتى سلمه صلاح الدين [124].

---

[124] نوار، صلاح نوار محمد، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2008م.

وأثناء ذلك إذا بالقائد صلاح الدين يقف على مؤامرة خفية تعمل للإستيلاء على القصر ويدبرها مؤتمن الخلافة وبعض أصحابه من الجند بالتعاون مع الصليبيين، وذلك أنه كتب في دار الخلافة بمصر إلى الفرنج للقدوم الى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الاسلامية الشامية، وكان الذي يفد بالكتاب إليهم الطواشي مؤتمن الخلافة، مقدم العساكر بالقصر، وكان حبشياً، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه، فصادفه في بعض الطرق من أنكر حاله، فحمله الى الملك صلاح الدين فحقق معه، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه، واستشعر الطواشي مؤتمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه، ثم عنَّ له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ثم عزل جميع الخدم الذين يلون خدمة القصر، واستناب على القصر بهاء الدين قراقوش، وأمره أن يطلعه على جميع الأمور [125].

وكان مؤتمن الخلافة قد خطط للاستيلاء على ذخائر القصر الفاطمي ليأخذ منها حاجته، وليدفع ثمنها أجراً للجنود الذين يعينونه في مؤامرته. فما كان من

[125] رنسينان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ، دار الثقافة ، ط2، ترجمة السيد الباز العريني ، 1981م.

القائد صلاح الدين إلا أن طلب من خادمه الأمين بهاء الدين قراقوش أن يحرس القصر الفاطمي حتى لا يصل من ذخائره شيء إلى يد المؤتمن، وقد قام بهاء الدين قراقوش بهذه المهمة بكل أمانة وإخلاص، وحرس القصر الفاطمي بعيون لا تنام. وكان قصر الخلافة يضم من الذخائر جواهر نفيسة من ياقوت وزمرد ومصوغات ذهبية وأوان فضية وكسوة فاخرة وعقوداً ثمينة وذخائر فخمة. فكانت حراسة بهاء الدين قراقوش لهذه الذخائر بكل أمانه. إلى أن أظفر الـلـه القائد صلاح الدين. بالنصر ومما يجب التنويه إليه (أن الشيعة الفاطميين الذين أقاموا دولتهم في مصر، وتوسعت حتى شملت كثيراً من بلاد الشام وبخاصة فلسطين وبالأخص القدس وما حولهم من البلاد. كانوا يكرهون أهل السنة كرهاً شديداً وبخاصة الأتراك السلاجقة [126]. وقد فرحوا وسروا لما انهزم الأتراك السنة أمام الصليبيين، فقد أرسلوا وزيرهم الفاطمي شاهنشاه لعقد تحالف مع الصليبيين، ضد العدو المشترك للطرفين الفاطمي والصليبي.

[126] السلاجقة : سلالة من التركمان جدها سلجوق . تفرعت منها عدة فروع حكمت في إيران وآسيا الصغرى والعراق وسورية القرن (11- 13) . قضت على البويهيين وقضى عليها جنكيزخان وحلفاؤه . أهم فروعها : السلاجقة الكبار 1037 – 1157 أنشأهم طغرل بك بن ميكائيل ابن سلجوق . وجغرى بك . اشتهر منهم ألب أرسلان . وملكشاه . وبركياروق ، آخرهم سنجر ، سلاجقة سورية 1094 – 1117 ، أسسهم تتش بن أرسلان ، سلاجقة العراق 1117 – 1194 ، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى 1077 – 1300 . خلفتهم سلالات الأتابكة .

ألا وهو الأتراك السلاجقة. وقد فرحوا وسروا لما انهزم الأتراك السنة أمام الصليبيين، فقد أرسلوا وزيرهم الفاطمي شهنشاه لعقد تحالف الصليبيين، ضد العدو المشترك للطرفين الفاطمي والصليبي. ألا وهو الأتراك السلاجقة السنيون). هذا و (أن الفاطميين قد خذلوا المسلمين في بداية الحروب الصليبية وبقوا على منهجهم هذا بل استغلوا انشغال المسلمين بالمعارك الضارية مع الصليبيين واحتلوا بيت المقدس سنة 489 هـ ولم يحافظوا عليها. بل احتلها الصليبيون بعد ثلاث سنوات فقط سنة 492 هـ ومن ثم تخاذلوا عن حماية المدن الفلسطينية التي كانت بحوزتهم وتخضع لسيادتهم). (وبلغ حد الضعف والتخاذل أمام الصليبيين أن بعث آخر حكامهم، رسالة إلى نور الدين يستعطفه فيها ويطلب نجدته. وقد وضع شعور بناته في الرسالة). وأمام هذا التخاذل والضعف استأنف صلاح الدين الأيوبي اعتماد مذهب أهل السنة في مصر، وألغى الخلافة الفاطمية وألغى كل بدعها في الآذان وعصمة الأئمة وغيرها وكان آخر خلفائها العاضد[127].

[127] الدوري ، عبد العزيز ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1960م.

(وقد كان هذا التدبير من صلاح الدين الأيوبي أدى إلى نقمة هؤلاء الشيعة كما أدى ذلك إلى تعاونهم مع الصليبيين للانقضاض والقضاء على صلاح الدين وإعادة الحكم الفاطمي بعد اندثاره وزواله. وبعد أن مكن اللـه لصلاح الدين عرش مصر، انصرف الى تحصينها لتكون حصناً منيعاً في مواجهة الصليبيين ومن يناصرهم من بقايا الفاطميين وإرهابهم إذا حاولوا العصيان ولتكون له معقلاً يعتصم به أعدائه [128].

فعهد في هذا الأمر إلى وزيره بهاء الدين قراقوش، وأمره أن يقيم البنايات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها. وسار مطمئناً إلى الشام تاركاً الأمر في مصر إليه.

فنفذ الأمير بهاء الدين قراقوش ما عهد إليه بأمانة ونشاط. فكانت الجسور المقامة لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد أهمل شأنها من مدة؛ فأتلف النيل بسبب ذلك كثيراً من البلاد والأراضي لأنه إذا زاد أغرق وإذا نقص أشرق، فوجه بهاء الدين التفاته إلى هذا الأمر الذي يعد حياة مصر وحفر الترع وأقام الجسور والسدود فانتظمت الزراعة [129].

---

[128] حسن ، إبراهيم ، صفحات من تاريخ مصر (تاريخ عمرو بن العاص)، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1996م.

[129] نوار، صلاح نوار محمد، قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2005م.

ثانياً : الأعمال التي قام بها الأمير بهاء الدين قراقوش:

1. بناء قلعة الجبل: عندما رجع صلاح الدين من الشام، وشاهد انجاز الأمير بهاء الدين قراقوش من انجازات خلال غيابه أظهر فيها الأمير براعة وخبرة هندسية واسعة. أمره أن يبني له قلعة تحمي مصر وترك له الخيار في اختيار مكانها وحجمها. وقد اختار الأمير بهاء الدين قراقوش قطعة مرتفعة في جبل المقطم، تشرف على القاهرة كلها، لتكون مكاناً للقلعة وباشر بعمارتها عام 572 هـ.

وكان في ذلك المكان بناء قديم من عمل الدولة الطولونية[130] يعرف بقصر الهوى فهدمه وأقام القلعة على أنقاضها، وجعل فيها قصراً لبلاط صلاح الدين، وأتى بحجارتها من خرائب منف والأهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب تشرف على كل المدينة ولا تزال باقية لهذا العهد وتعرف بقلعة القاهرة[131].

[130] الطولونية (الدولة) : دولة حكمت في مصر وسورية مستقلة عن العباسيين 254 – 292 هجري / 868- 905 م . أسسها أحمد بن طولون ، خلفه ابنه فما رويه فقضى عليها العباسيون . امتازت بنهضة معمارية إسلامية أهم آثارها جامع ابن طولون في القاهرة .

[131] خليل، خليل أحمد، العرب والقيادة، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.

وقد وصف الرحالة قلعة الجبل وتحصيناتها: قلعة صلاح الدين الأيوبي، قلعة الجبل 572 هـ على رأس المنشآت العسكرية التي شيدها الأيوبيون لدفع الخطر الصليبي عن مصر والذي كان يهددها في ذلك الوقت.

2. بئر يوسف: بئراً عجيباً نقر في الصخر نقراً عميقاً جداً، جعله الأمير بهاء الدين قراقوش داخل القلعة ويدعى بئر يوسف، نسبة إلى يوسف صلاح الدين. ما ذكره الأستاذ علي باشا مُبارك في كتابه الخطط التوفيقية بعض الوصف لعجائب هذا البئر فقال: والبئر المعروفة بالحلزون الموجودة بالقلعة هي من عمل قراقوش في أيام صلاح الدين، عملت لأجل وجود الماء داخل القلعة بواسطتها إذ حصل لها حصار من عدو.

3. سور القاهرة: قام الأمير بهاء الدين قراقوش بعد بنائه للقلعة بمد سور القاهرة الفاطمي الشمال الى الغرب حتى يلتقي بميناء المقسي على النيل، كما قام بمد سور من الشرق حتى يتصل بالسور الفاطمي الشمالي القديم الذي كان يقع شرقي حي الدرب الأحمر، وقام بمد سور ثالث من جنوب القلعة حتى يتصل بباب القرافة إلى مدينة الفسطاط بمسافة قدرها خمسة كيلو مترات ونصف . وكان هذا السور الذي بناه الأمير قراقوش ثالث الأسوار التي أحاطت بالقاهرة إلى عهده. فكان الأول قد بناه القائد الرومي (جوهر

الصقلي)[132] والثاني قد بناه الوزير لأمير الجيوش بدر الجمالي الفاطمي[133] ، فكان الثالث قد بناه الأمير بهاء الدين قراقوش من الحجارة، والسوران الأولان قد بنيا من اللبن.

وامتد السور حول المدن الأربعة التي كانت مدينة القاهرة في هذا العهد وهي الفسطاط التي أنشأها عمرو بن العاص[134] رضي الـلـه عنه، ومدينة العسكر التي أنشأها صالح بن علي العباسي، ومدينة القاهرة التي أنشأها جوهر الصقلي، ومدينة مصر.

هذا ويعتبر سور القاهرة من أعظم المنشآت الحربية التي بنيت في عصره، ويعود الفضل كله للأمير بهاء الدين قراقوش الذي برع في بناء المنشآت الحربية، فهذا

---

[132] جوهر الصقلي: (ت 381ه/992م): قائد فاطمي. فتح مصر للمعز وأنشأ مدينة القاهرة وبنى الأزهر 359هـ .

[133] بدر الجمالي: (1014-1094م: وزير المستنصر الفاطمي. وطّد أركان الدولة: شيّد باب زويلة بالقاهرة.

[134] عمرو بن العاص: ابن وائل الإمام أبو عبد الـلـه. داهية قريش ورجل العالم، ومن يُضرب به المثل في الفطنة، والدَّهاء، والحزم. هاجر إلى رسول الـلـه (ص) مُسلماً في أوائل سنة ثمان. مرافقاً لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طلحة، ففرح النبي (ص) بقدومهم وإسلامهم، وأمر عمراً على بعض الجيش، وجهزه للغزو. له أحاديث ليست كثيرة ، تبلغ بالمكرر نحو الأربعين ، اتفق البخاري ومسلم بحديثين ،وروى أيضاً عن عائشة .
قال أبو بكر بن البرقي : كان عمرو قصيراً يخضب بالسواد .أسلم قبل الفتح سنة ثمان ، وقيل قدم هو وخالد ، وابن طلحة . قال البخاري ولاه النبي صلى الـلـه عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، نزل المدينة ثم سكن مصر ، وبها مات .

صلاح الدين كلما احتاج إلى بناء أي منشأة حربية استعان في بنائها على الأمير المفترى عليه بهاء الدين قراقوش.

4. قناطر الجيزة وقلعة المقس: قناطر الجيزة واقعة تحت الجسر الموصل بين النيل والأهرام تجاه مدينة مصر، هذا ما ذكره المقريزي، وذكر أنه هدم الأهرام الصغيرة المبعثرة في الجيزة وأخذ أحجارها لبناء القناطر. ومنها قلعة المقس وهي عبارة عن برج كبير بناه الأمير بهاء الدين في محل قنطرة الخلفاء بجوار الجامع في نهاية سور القاهرة.

ثالثاً :صلاح الدين يولّي قراقوش على عكا:

سنة 585 هـ ، سار القائد صلاح الدين إلى عكا[135]، ورتّب فيها الأمير بهاء الدين قراقوش، وأمره بعمارتها وعمارة سورها الذي تهدّم من كثرة الهجمات الصليبية عليه. ومن أسباب تعيين القائد صلاح الدين للأمير بهاء الدين على عكا خوفه على المدينة من هجمات الصليبيين.[136]

---

[135] عكا : مدينة في فلسطين على المتوسط ، قلعة صليبية قاعدة فرسان القديس يوحنا . فتحها العرب 638 . ازدهرت في عهد الشيخ ظاهر العمر والجزار القرن الثامن عشر (18) . اشتهرت بمقاومة حصار بونابرت 1799م.

[136] قال صلاح الدين : ما أرى لكفاية الأمر المهم ، وكف الخطب الملم ، غير الشهم الماضي السهم ، المضئ الفهم ،الهمام المحرب ، النقاب المجرب، المهذب اللوذعي، المرجب الألمعي، الراجح الرأي، الناجح السعي،

فالأمير بهاء الدين قراقوش يمتلك خبرة عسكرية واسعة خلال خدمته في الجيش الإسلامي بقيادة عمه (أسد الدين شيركوه) في دمشق. وامتلاك خبرة في بناء المنشآت العسكرية.

فترك السلطان الحصون الأخرى فبقي الأمير في هذه المدينة، ومعه حامية صغيرة وعكف على إقامة ما تهدم من السور ثم بعد ذلك حدث أن الفرنج الصليبيين المقيمين بالآلاف استصرخوا إخوانهم في أوروبا، وأتوا بإمدادهم وأموالهم ورجالهم وفرسانهم، وتجهزوا لتلك الحملة الصليبية التي أتت إلى الشرق بقيادة ملوك الغرب وفيهم ريتشارد الأول (قلب الأسد) ملك انجلترا،ووصلت الحملة إلى عكا. واصطف الملوك والأمراء والجند، ووقف في القلب ريتشارد (قلب الأسد) وبين يديه الإنجيل محمولاً ومكسواً بثوب من الأطلس، ويمسك الثوب من أطرافه أربعة من الجند، فأصبح الأمر لهذا الجيش المؤلف من جميع الدول الأوروبية في عكا. ضربوا حصاراً على عكا، ودام الحصار عامين كاملين ذاق فيهما الأمير والمسلمون معه الأمرين. بل ذاقوا

الكافي الكافل بتذليل الجوامح، وتعديل الجوانح، وهو الثبت الذي لا يتزلزل، والطود الذي لا يتحلل، بهاء الدين قراقوش الذي يكفل جأشه بما لا تكفل به الجيوش.

هنالك أقسى ما عرفته المحنة الصليبية من ألم، وتحمّلوا فيها أشق ما مر بها من جهد وضعف [137].

رابعاً :معركة المنجنيقات وإحراق الأبراج خارج السور:

(أن الفرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جداً، طول كل برج منها خمس طبقات، كل طبقة مملوءة بالمقاتلين وقد جمع أخشابها من الجزائر. وغطوها بالجلود والخل والطين والأدوية التي تمنع النار من إحراقها، وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات، وزحفوا بها من العشرين من ربيع الأول، فأشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندقها، فأشرف البلد على أن يملك عنوة وقهراً،فأرسل أهله بقيادة الأمير بهاء الدين قراقوش إلى صلاح الدين – إنساناً سبح في البحر، فأعلمه ما هم فيه من الضيق، وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم، مركب هو وعساكره وتقدموا إلى الفرنج، وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالاً عظيماً دائماً ويشغلهم من مكاثرة البلد، فافترق الفرنج فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل أهل عكا، إلا أن الأمر خف عمّن بالبلد، ودام القتال ثمانية أيام متتابعة.

[137] حشيمة ، سامر محي الدين، الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش، عمان ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2004م.

وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلاً ونهاراً، والمسلمون قد يتقنوا من استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الأبراج فإنهم لم يتركوا حيلة إلا عملوها، فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئاً، وتابعوا رمي النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها، فأيقنوا بالبوار والهلاك. فأتاهم الـلـه بنصر من عنده، وأذن من إحراق الأبراج [138].

وكان سبب ذلك أن إنساناً من أهل دمشق كان مولعاً بجمع آلات النفاطين، وتحصيل عقاقير تقوى على النار، فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه، وهو يقول: هذه حالة لم أباشرها بنفسي إنما أشتهي معرفتها، وكان بعكا لأمر يريده الـلـه، فلما رأى الأبراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الأدوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل وغيرهما، فلما فرغ منها حضر عند الأمير قراقوش، وهو متولي الأمور بعكا،والحاكم فيها، وقال له: يأمر المنجنيقي أن يرمي في المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الأبراج ما أعطيه حتى أحرقه، وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله، فازداد غيظاً بقوله، ورد عليه فقال له، قد بالغ أهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط وغيره فلم يفلحوا، فقال له من حضر: لعل الـلـه تعالى قد جعل

[138] المطعني،عبد العظيم ، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية ، القاهرة ،دار المعارف ، بدون تاريخ .

الفرج على يد هذا، ولا يضرنا أن نوافقه على قوله، فأجابه إلى ذلك، وأمر المنجنيقي بامتثال أمره، فرمى عدة قدور نفطاً وأدوية ليس فيها نار، فكان الفرنج إذا رأوا القدر لا يحرق شيئاً يصيحون ويرقصون على سطح البرج، حتى علم أن الذي ألقاه قد تمكن من البرج ألقى قدراً وجعل فيها النار، فاشتعل البرج، وألقى قدراً ثانية وثالثة، فاضطرمت النار في نواحي البرج، وأعجلت من في طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص، فاحترق هو من فيه، وكان فيه الزرديات والسلاح شيء كثير، وكان طمع الفرنج لما رأوا أن القدور الأولى لا تعمل يحملهم على الطمأنينة وترك السعي في الخلاص حتى عجل الـلـه لهم النار في الدنيا قبل الآخرة، فلما احترق البرج الأول انتقل إلى الثاني، وقد هرب من فيه لخوفهم - فأحرقه وكذلك الثالث وكان يوماً مشهوداً لم يرَ الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون، وقد أسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحاً بالنصر، وخلاص المسلمين من القتل. وكتب الأمير بهاء الدين (إلى السلطان صلاح الدين يُعلمه أن يبقَ من الأقوات في المدينة بعد ليلة النصف من شعبان، فلما وصل الكتاب إلى صلاح الدين أخفاه لئلا يشيع الأمر ويستغل الفرنجة الفرصة فيهاجموا المدينة، ثم جهزو ثلاث مراكب من بيروت بزي الفرنج حتى

أنهم حلقوا لحاهم وشدّوا الزنانير واصطحبوا شيئاً من الخنازير، فلما مروا على مراكب الفرنج اعتقدوا أنهم منهم ولم يعترضوا سبيلهم [139].

كل ذلك والأمير بهاء الدين يصبر ويتجلد في وسط الجند، داعياً إياهم إلى الصبر والتجلد، وكلما فكر جنده في التسليم للعدو مناهم وأملهم، وقواهم وشد عزائمهم وما زال بهم حتى رجعوا عما عزموا عليه، وعاهدوا الأمير على أن يصبروا معه حتى الموت، وخذل الأمير في محنته الذي يدافع عن شرفه وعقيدته، وما أن أتى المدد إلى الفرنج عبر البحر حتى هزموا المسلمين اللائذين بهذا الحصن المنيع، ودخلوا، وانهالوا على أهلها نهباً وذبحاً وأسراً، فكان الأمير بهاء الدين قراقوش ممن أسروا يومئذ.

وبقي الأمير بهاء الدين في الأسر حتى يوم عقد الصلح مع الصليبيين، فافتداه القائد صلاح الدين بعشرة آلاف دينار وكان ذلك سنة 588 هـ ومثل في الخدمة السلطانية ففرح به فرحاً شديداً، ومنذ يومئذٍ والأمير بهاء الدين قراقوش إلى جانب صلاح الدين لم يفارقه لحظة حتى فارق السلطان هذه الدنيا[140].

[139] خليل ، بكري محمد ، الفكر القومي وقضايا التجدد الحضاري ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 20004 م.

[140] - فؤاد ، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان ، 1997م.

وبعد أن توفي صلاح الدين الأيوبي، سنة 589 هـ آل الملك بعده لإبنه العزيز على عرش مصر وكان ملكاً فاضلاً. فيه ذكاء ونخوة.

وكان له جيش عظيم يتألف من فيلقين عظيمين، هما فرقة الصلاحية (مماليك أبيه صلاح الدين). وفرقة الأسدية (مماليك جده أسد الدين شيركوه). وكان بين الفرقتين خلاف شديد.

وقد تولى أبناء صلاح الدين (الأفضل) أمور دمشق وما حولها، والظاهر أمور حلب وما حولها، وتولى المالك العادل أخو صلاح الدين ما بقي من الملك. وكان بعد ذلك أن دب الشقاق بين الأمراء الأربعة.

فكان الأمير بهاء الدين قراقوش في خدمة الملك العزيز فكان العزيز يستعين بالأمير بهاء قراقوش في كل الأمور كبيرة كانت أم صغيرة، وكان يوليه أمور الملك خلال غيابه عن الدولة.

وبعد ذلك حتى كانت المؤامرة التي دبرها الملك العادل وذلك بالتعاون مع فرقة الأسدية في القاهرة والتي كان رأسهم (أبو الهيجاء السمين)، أحبطها الأمير بهاء الدين قراقوش، ويقول: فكر الملك (العادل) في طريقة يزعج بها (العزيز) فأخذ يخوفه من (الأسدية) وطفق في الوقت نفسه يكاتب الأسدية في مصر وكان زعيمهم آنذاك رجلاً يقال له أبو الهيجاء السمين وكان هذا الخبيث

والياً على بيت المقدس من قبل العزيز، ثم عزله العزيز، وولى مكانه غيره، فأسرها أبو الهيجاء في نفسه، ونوى الغدر بصاحبه.

ووصلت كتب الملك (العادل) إلى الأسدية، وبيت الجميع سوء النية، وكان بعضهم بالقدس، وبعضهم الآخر في مصر، فكتب الأسدية الذين في خارج القاهرة إلى إخوانهم بداخلها، واتفقوا على أن يحولوا بين العزيز ودخول مصر، وذلك عند عودته إليها من حرب أخيه الملك الأفضل، ويومئذٍ يصبح العزيز نفسه بين نارين أو يختار لنفسه واحدة من ثلاث: فإما التسليم للأسدية في مصر، وإما التسليم للأفضل في دمشق، وإما أن يستجير بعمه الملك العادل وهو رأس هذه المؤامرة، كل ذلك والعزيز مقيم في عسكره قرب دمشق، يرتب الجند، ويشرف على نظام الجيش، ومعه زعيم الأسدية أبو الهيجاء السمين، يظهر الخضوع لسيده من ناحية، ويتلقى كتب المؤامرة التي ترد إليه من ناحية ثانية، ووثق هذا الزعيم بنجاح المؤامرة، وأيقن بإحكام خطتها، وفجأة وعلى غير انتظار، شوهد أبو الهيجاء السمين منسحباً من الميدان، وخلفه عدد كبير من الجند، وقد استكملوا عدتهم، واستعدوا لفتنتهم، وقد كانوا يؤلفون الجزء الأكبر من جيش الملك العزيز، الأمر الذي أدى إلى فتّ ذلك في عضد هذا

الملك، وأضعف من شوكته، وأخمد من عزيمته، واضطر في صبيحة اليوم التالي إلى التفكير في النجاة بنفسه والعودة سريعاً إلى مقر حكمه [141].

ومع حصول ذلك كله، والأمير بهاء الدين قراقوش يتولى أمور مصر خلال غياب الملك العزيز، ويحمي عرش مصر حتى عودته من دمشق.

علم بهاء الدين قراقوش بسر المؤامرة، واستطاع أن يقرأ بعض الكتب التي وردت إلى الاسدية من أخوانهم خارج القاهرة.

وراح بنفسه إلى الأسدية يخوفهم ويهددهم، ويحذرهم عاقبة غدرهم وخيانتهم، ويصور لهم دناءة الفعلة التي يقومون عليها، وما زال بهم حتى أخمد نشاطهم، وأطفأ جذوتهم، وأحبط حيلهم، وأحاط بهم من كل جانب، وفوت علهم كل قصد، ثم ما كاد (العزيز) يصل إلى القاهرة حتى كان الأمير بهاء الدين قراقوش قد انتهى من عمله، ومهد له طريق الدخول.

ودخل العزيز مصر واستقبله اهلها بسرور عظيم، ثم جلس إليه الأمير بهاء الدين قراقوش وأخبره بخبر المكيدة التي دبرت والخطة التي وضعت، والقصد الذي قصد إليه الأسدية في القاهرة، فشكر له الملك الصنيع وقدر له الجميل، وهكذا أخلص من قبل الإخلاص كله لوالده السلطان صلاح الدين فحافظ

[141] حشيمة ، سامر محي الدين، الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش، عمان ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2004م.

على العرش في أثناء غيبة العزيز عن مصر، وأضاف بذلك يداً جديدة من أياديه على هذه الدولة الأيوبية التي شارك في بنائها وأحاطتها من شرور أعدائها.

ولم يقف الأمر من شجاعة هذا الأمير الذي افترى عليه أهل الضلالة الذين حاولوا إظهار صورة بشعة حول هذا الأمير الذي قدم نفسه للإسلام والمسلمين.

فبالإضافة إلى ما قدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين والدولة الأيوبية، فبعد وفاة الملك العزيز آل عرش مصر إلى ابنه الملك (المنصور) ناصر الدين محمد بعهدٍ منه، فكان عمر (المنصور) تسع سنين وأشهر، فقام بأمور الدولة بهاء الدين مُدبر أمره ووصياً على عرشه حتى يشتد ساعده ويبلغ سن الحكم [142].

فكان إخلاص الأمير بهاء الدين قراقوش ، اخلاصاً لا مثيل له، فقد قام بالوصاية خير قيام ورعى شؤون المملكة بعناية. ومع ذلك كله وجد صعاباً. فهذا الأمر لم يُرضِ الملك (الأفضل) في دمشق فسار إليها ودخلها دون إراقة دماء، ويعود ذلك لحكمة الأمير بهاء الدين الذي لم ير بداً من الخضوع للأمر

---

[142] طباره ، عفيف عبد الفتاح ، روح الدين الإسلامي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1973م.

الواقع وتجنيب المسلمين حرباً كان سيراق بها دمٌ كثير. فتنحى عن مُلك مصر وتخلى عن الوصاية للملك (الأفضل) وكان حسن الخلق عادلاً [143].

هذا فقد تنحى بهاء الدين قراقوش عن التدخل في شؤون الحكم، وكان ذلك بعد أن يبلغ من الكبر عتيه، فقد ضعفت صحته وتهدمت، حتى وفاته سنة سبعة وتسعون وخمسمئة للهجرة (597 هـ) بالقاهرة، ودفن قرب البئر والحوض، الذي أنشأهما على شفير الخندق في تربته المعروفة به بسفح المقطم. بعد حياة حافلة بالإنجازات العظيمة والبطولات والإخلاص للإسلام والمسلمين، ليخسر الإسلام واحد من رجالاته الأبطال الذي قدم نفسه فداء للإسلام والمسلمين لإعلاء كلمته ورفع شأنه ولترفرف راية الإسلام والمسلمين خفاقة بالحق الذي لا يموت أبداً ما دام هناك أبطال يُقدمون أنفسهم فداءاً للإسلام واعلاء كلمة اللـه سبحانه وتعالى [144].

إن سياسة الأمير بهاء الدين قراقوش في القاهرة كانت حكيمة وحازمة في إزالة الفاطميين وتضيق الخناق على بقاياهم، لذلك لم يجدوا سبيلاً لمحاربته إلا

[143] إسماعيل ، فضل اللـه محمد ، فلسفة السياسة ، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة ، 2008م.
[144] الحيدان، عبد اللـه بن فهد، المسلمون وتحديات العصر، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، 2006م.

بالإشاعات وتشويه السمعة، حيث وضعوا عنه كتاباً أسموه الفاشوش في أحكام قراقوش التي يرددها معاصرونا بغباء [145].

وهذا النوع من الإشاعة يعرف بإشاعة الكراهية، وذلك لان هذا الأمير الفذ كان له دور في إزالتهم وتضيقهم، فكانت الإشاعة هي الوسيلة الوحيدة التي يحاربون بها هذا الأمير العظيم. إلا أنه وللأسف الكبير نجد بعض العجائز وكثير من الناس الجهالة الذين لا يعرفون من هو هذا القائد الذي لازم بطل الأبطال صلاح الدين الأيوبي. يرددون المثل القائل حكم قراقوش وهو ما يحمل كناية عن الحكم الظالم أو المتعسف. ويجب التنويه في هذا المقام على عدة أمور وهي أن لا يعني أن كل قصة مذكورة بكتب التراث إنما هي موثوقة من حيث حدوثها وحصولها، إنما هناك الموضوع، أو المنسوب نسبة غير صحيحة، أو مختلق، ولكن القيمة تنبع كونها مأخوذة من صلب التراث [146].

هذا ولما كان الأثر الأدبي هو من أقدر الأساليب الأدبية على تنمية النفس الإنسانية وتأثراً بها. كان لجوء أصحاب الإشاعات والأباطيل لهذه الوسيلة

[145] حشيمة ، سامر محي الدين، الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش، عمان ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2004م.

[146] أمين ، سامر الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين " مفتاح الحرب والسلام "، عمان ، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2006م.

لتشويه سمعة قائد عظيم كالقائد الذي قدم نفسه فداءاً للإسلام والمسلمين [147].

الامر الذي أدى إلى تكوين أجيال ضعيفة العقل، والنفس والإرادة تنظر إلى هذا القائد وإلى الأحكام العجيبة التي تنسب إليه على انها صحيحة.

هذا وقد ذكر ابن خلكان أن الناس ينسبون للأمير بهاء الدين قراقوش أحكاماً عجيبة في ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين، حتى أن الأسعد بن مماتي[148]. له كتاب سماه الفاشوش في أحكام قراقوش وفيه أشياء يبعد الوقوع مثلها منه والظاهر أنها موضوعة، فإن صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه.

أما عن كيفية أصل المثل القائل حكم قراقوش كناية عن الظلم والجبروت، كيف جاء؟ وكيف انتشر؟ لقد كان كتاب الأسعد بن مماتي الفاشوش في حكم قراقوش هو أصل المثل الذي انتشر في كل الأمصار من تاريخ صدوره حتى تاريخنا المعاصر. وهذا الكتاب، هو كتاب صغير الحجم، تضمّن حكايات ونوادر ساخرة كتبت باللغة العامية، والهدف من هذا الكتاب النيل من الأمير

[147] زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ، دار الهلال للنشر والتوزيع ، 1975م.

[148] الأسعد بن مماتي: هو القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن مُهذب بن مينا بن زكريا بن أبي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية، توفي سنة 606هـ وانحدر ابن مماتي من أسرة قبطية من أعرق أسر الصعيد وكان ميلاده سنة 544هـ بمدينة أسيوط.

بهاء الدين قراقوش، إلا أنه وللأسف والحزين بالوقت نفسه في أن هذا الكتاب نجح في تكوين من يقتنعون بفكرته المزيفة التي تظهر هذا الأمير على عكس مظهره الحقيقي، وتجعل منه شخصية فكاهية.

لقد أراد مؤلفة ابن مماتي النيل من الأمير بهاء الدين قراقوش من خلال كتابته هذا الكتاب وتوجيهه للسلطان صلاح الدين الأيوبي كما أدى في مقدمته حيث قال: (إنني لما رأيت عقل بهاء الدين قراقوش، محزمه فاشوش، قد أتلفت الأمة، والـلـه يكشف عنهم كل غمة، لا يقتدي بعالم، ولا يعرف المظلوم من الظالم، الشكية عنده لمن سبق، ولا يهتدي لمن صدق، ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يرد كلمته، ويشتاط اشتياط الشطا، ويحكم حكماً ما أنزل الـلـه به من سلطان... ضفت هذا الكتاب لصلاح الدين، عسى أن يريح منه المسلمين) [149].

وسأقوم بوضع بعض الحكايات التي يتضمنها كتاب الفاشوش في حكم قراقوش فهي مخلفات موضوعة يجب أن تختفي من عقول من يرددونها بغباء وسخافة، لتحل الصورة الصحيحة عن هذا الرجل الصالح، وكان الهدف من وضعها فقط لمعرفة ما ورد في هذا الكتاب الموضوع المختلق فعلاً أو الذي قد يكون منسوب نسبة غير صحيحة لمؤلفه والـلـه أعلم.

---

[149] حشيمة ، سامر محي الدين، الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش، عمان ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2004م.

أما عن بعض الحكايات الواردة في هذا الكتاب [150]:

(حكاية قراقوش مع الأجرودي)

جاء إلى قراقوش ثلاثة رجال: أحدهم أجرود وليس له لحية ولا شارب. والآخران كبيرا اللحية. وقد تعدى الأجرود[151] على كل منهما ونتف ذقنه من جذورها. فذهب الرجلان إلى قراقوش وقالا له: (يا مولانا بهاء الدين، خذ لنا حقنا من هذا الأجرود، فقد نتف ذقوننا وخرق ثيابنا). فنظر قراقوش إلى الأجرود، وقال لصاحبيه: ويلكم نتفتم ذقن هذا الصبي وجئتم تشكونه إليّ، قودوهما إلى الحبس، ولا تخرجوهما حتى تطلع ذقن هذا الصبي.

(حكاية قراقوش والمرأة طالبة الصدقة)

ما ينسب للأمير بهاء الدين قراقوش من مهزلة سخيفة وهي أن قراقوش كان يتصدق كل سنة بمال وفير. فلما انتهت الصدقة في تلك السنة، جاءت إليه إمرأة، وقالت له أن زوجها قد مات، ولا كفن له، فقال: أما الصدقة لهذه السنة

---

[150] حمزة ، عبد اللطيف ، الفاشوش في أحكام قراقــوش لابن مماتي ، القاهرة ، ط1 ،أخبار اليوم ، بدون تاريخ .

[151151] جرد – جرداً : خلا جسمه من الشعر : فهو أجرد . الجمع جُردٌ . وفي حديث أهل الجنة : " جُردٌ مردٌ متكحلون" , و- المكان : خلا من النبات . فهو اجرد ، وجردٌ , وأرض جردةٌ ، وجرداء . ويقال : سماءٌ جرداء: لاغيم فيها .

فقد فرغت. ولكن إذا كانت السنة الآتية فتعالي نأمر لك بكفن إن شاء الـلـه تعالى.

مما جعل المرأة تتعجب من قوله فتوجهت إلى حيث أتت.

(حكاية قراقوش مع الفلاح وزوجته)

من النوادر السخيفة التي نالت من أميرنا بهاء الدين قراقوش، ما يحكى عن جندياً نزل في مركب، وكان به فلاح وزوجته، وكانت الزوجة أنذاك حاملاً في سبعة أشهر، فضربها الجندي فأجهضت، فذهب الفلاح إلى الأمير بهاء الدين قراقوش وشكا اليه الجندي. فقال الأمير بهاء الدين قراقوش للجندي خذ زوجة هذا الفلاح عندك، وأطعمها وأسقها حتى تصير في سبعة أشهر ثم أعدها إلى زوجها.

فقال الفلاح: يا مولانا، تركت أمري على الـلـه. وأخذ زوجته وهرب.

(حكاية قراقوش مع الدائن)

ويحكى أن شخصاً شكا للأمير بهاء الدين مماطلة غريمه [152]، فقال المديون: يا مولانا إني رجل فقير، وإذا حصلت شيئاً آتيه به فلا أجده. فإذا صرفته جاء

[152] الغريم : الدائن . الجمع غرماء .

وطالبني. فقال قراقوش، احبسوا صاحب الحق حتى يصير المديون إذا حصل شيئاً يجد له موضعاً يدفع له فيه.

فقال صاحب الحق أيا مولانا تركت أجري على اللـه، ومضى.

(حكاية قراقوش مع الباز)

ويحكى عن أميرنا المظلوم أن كان له باز [153] يعتز به، ويُعنى بتربيته، فطار الباز يوماً من عنده. وبلغ ذلك قراقوش. فقال: أقفلوا باب النصر وأقفلوا باب زويلة. وهي من أبواب القاهرة، حتى لا يجد الباز له موضعاً يطير منه فيعود إليّ.

(حكاية قراقوش مع المرأة وابنها)

جاءت إمرأة إلى قراقوش، وشكت إليه ابنها، وقالت إنه يخالفها. فحبسه، وحلف أنه لا يطلقه إلا بعد سنة.

فلما توجهت المرأة إلى بيتها عُسر عليها ولدها.

فجاءت ذات يوم للحاشية [154]، وسألت إطلاقه، ودفعت لهم بعض المال.

---

[153] الباز : ضرب من الصقور يستخدم في الصيد . الجمع أبوازٌ ، وبيزان .

[154] الحاشية : من كل شئ : جانبه وطرفه . و- من الإبل : صغارها التي لا كبار فيها . و- الأهل والخاصة ، يقال : هؤلاء حاشيته . و- علق على الكتاب من زيادات وإيضاح . الجمع حواشٍ . ويقال : عيشٌ رقيق الحواشى : ناعمٌ في دعة ، وكلام رقيق الحواشي : لين . ورجل رقيق الحواشي : لطيف الصحبة .

فقالوا لها: اكتبي قصته وأنهي فيها أن السنة انقضت، ونحن نساعدك، ففعلت ذلك. فلما قرأها قراقوش قال لها: أنت تكذبين، بقي من السنة اليوم خاصة وفي غد نطلقه إن شاء الـلـه.

فقالت: الأمر أمركم، وخرجت على ذلك.

(حكاية قراقوش مع الكردي)

ومن الحكايات التي تنال من هذا الأمير، ما يحكى أنه تسابق مع كردي على فرس فسبقه الكردي.

فقال للسائس [155]، محاولاً عقاب الفرس.

لا تطعم الفرس شيئاً في هذا الأسبوع.

فقال له: كان يموت.

فقال له ثانياً: حسناً أطعمه، ولا تقل لي أني قلت لك ذلك حتى لا يبقى يظنّ أننا حلفنا باطلاً.

(حكاية قراقوش مع السارق)

ومن الحكايات المزيفة أيضاً ما يحكى أن في عهده سرق مال، فقال لصاحب المال المسروق: هل لحيّكم باب.

---

[155] السائس :رائض الدواب ومدربها . الجمع ساسةٌ ، وسواس.

فقال له: نعم.

فقال: إذهب وأحضره.

فأحضر له الرجل الباب، فقال: اضربه ضرباً شديداً.

فقال: يا سيدي. ولكن الباب خشب لا يحس بالضرب، فقال له قراقوش: افعل ما آمرك به.

فمدوه، وضربوه. ونزل إليه قراقوش، ووضع أذنه بجانبه وجعل يوشوشه، فلما فرغ قال لهم: اجمعوا لي باقي أهل الحارة [156] والدرب [157].

فلما حضروا قال لهم: الباب يخبرني أن الذي سرق العملة على رأسه ريشة، وكان سارق المال واقفاً بجملة الناس، فتوهم ورفع يده على رأسه، فرآه قراقوش، فأمر به، وقرره بالضرب فأقر، وأحضر المال، ودفعه إلى صاحبه.

(حكاية قراقوش وهو يحاول عضّ أذنه)

ومن الأباطيل الكاذبة التي تنسب إليه، ما يحكى عن دخول رجلان على قراقوش، وادعى احدهما على الآخر أنّه عضّ أُذنه، فسأله قراقوش عن ذلك. فقال: أنه هو الذي عضّ أذن نفسه.

---

[156] الحارة : محلة متصلة المنازل .

[157] الدرب : المضيق في الجبال . و- المدخل الضيق . و- كل طريق يؤدى إلى ظاهر البلد . و- باب السكة الواسع . و- الموضع يجعل فيه التمر ليجف . الجمع دروب، وأدراب ، ودر ابٌ.

فقام قراقوش. ودخل غرفته الخاصة، وجلس على كرسي، وأخذ يحاول أن يعضّ أُذنه، فلم يفلح بذلك، ومال به الكرسي من كثرة التفاته ومحاولاته، فوقع على يده فانكسرت، فخرج وهو بهذه الحالة.

وأمر بضرب المدعى عليه، وقال: أنت الذي عضضت أذن الرجل هذا وكسرت ذراعي زيادةً على ذلك.

(حكاية قراقوش مع المرأة الحجازية)

ويحكى كذباً أن قراقوش كان يميل إلى البيض، ويكره السود، وشاءت الظروف يوماً ما إلى التحكيم بين امرأة حجازية، وجارية [158] لها تركية. وكانت هذه أول مرة يحكم فيها. قالت الحجازية لقراقوش إن هذه جاريتي قد أساءت الأدب عليّ.

فنظر قراقوش إلى بياض الجارية التركية وسواد الحجازية فقال للحجازية: ويلك! خلق الـلـه جارية تركية لجارية سوداء حجازية؟ وما أنا بأحمق أو مغفل، يا عثمان أرسلوا هذه الحجازية إلى الحجرة [159].

فمكثت الحجازية شهراً، وما لبثت أن عادت إليه تقول! إني قد أعتقتها لوجه الـلـه تعالى.

---

[158] الجارية : الأمة وإن كانت عجوزاً ، و- الفتية من النساء . و- الشمس .

[159] الحجرة : الغرفة في أسفل البيت . و- حظيرة الحيوان . الجمع حُجر .

فقال لها قراقوش: يا سبحان اللـه: إنها هي التي تعتقك، وإن أرادت عتقك فإنها تعتقك،

فقالت الحجازية للتركية: اعملي معي مثلما عملت معك.

فقالت التركية: وما تريدين مني.

فقالت الحجازية: إذهبي إلى قراقوش وقولي له إنك تعتقيني لوجه اللـه تعالى.

فذهبت التركية إلى قراقوش وقالت له: قد أعتقت سيدتي الحجازية لوجه اللـه تعالى.

فقال قراقوش: جزاك اللـه خيراً.

وخرجت الحجازية من السجن.

(حكاية قراقوش مع الشيخ والصبي)

ومما زادته الأباطيل عن أميرنا العظيم، ما يحكى عنه أنه جاء له شيخ وصبي، كل منهما يدعي الدار ويقول: يا مولاي، داري. وعند ذلك نظر قراقوش إلى الصبي وقال: معك كتاب يشهد لك:

قال:لا.

قال الأمير بهاء الدين: فالدار إذن للشيخ الكبير.

يا صبي: ادفع له داره، وإذا صرت في عمر هذا الشيخ الكبير دفع لك هذه الدار.

(حكاية قراقوش مع الشاب المضروب)

ومما يلوثه أعداء الإسلام وأعداء رجاله، ما يحكى عن قراقوش أنه جاءه شاب مضروب، فبعث معه خمسة رجال من رجال الشرطة. فبلغ ذلك خصمه الذي ضربه، فسبقه ووقف بجانب قراقوش.

فلّما أقبل الشاب قال الخصم: هذا الذي قتلني وضربني. فأقبل قراقوش على الشاب المظلوم وبطحه وضربه إلى أن أشرف على الموت وهو يقول: أنا مظلوم! أنا مظلوم!

فقال له قراقوش: سبقك.

فحلف الناس أنهم لا يقعدون ما دام قراقوش في البلد حاكماً.

(حكاية قراقوش مع الغلام والديك)

ومن الأباطيل أيضاً ما يحكى عن بهاء الدين قراقوش أنهم أتوه يوماً بغلام في يده ديك فقال: إن هذا الديك لو نقر عينك لكان قلعها! يا غلمان خذوا منه دية عينه.

فحلف الغلام ألا يسكن مدينة يكون قراقوش حاكمها بعد اليوم.

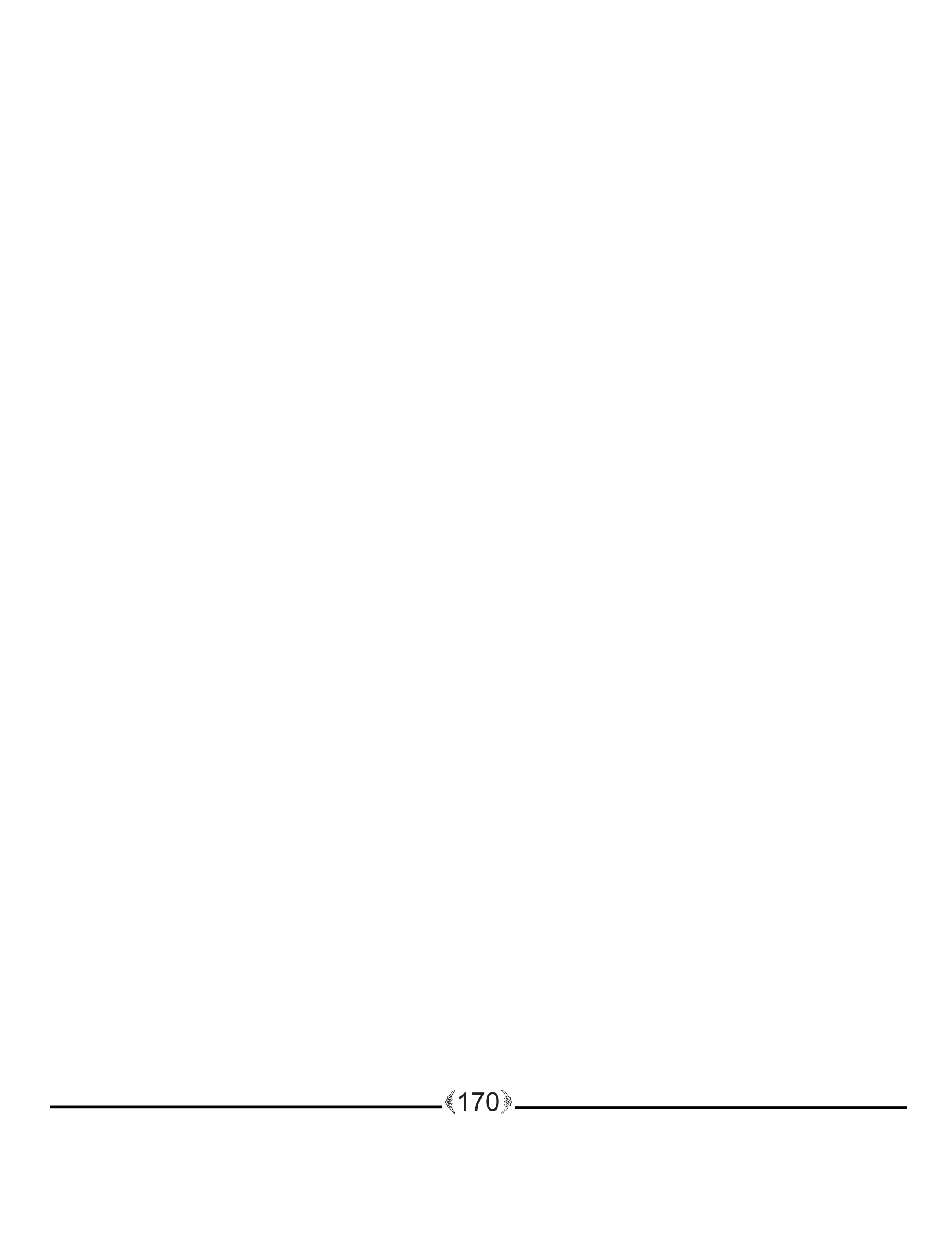
ونستنتج مما سبق أن الافتراءات لم تتوقف على النبي (ﷺ) والأنبياء ، بل جاوزت لتجرف الصحابة وقواد المسلمين في هيجان البحر المدمر . لولا ظهور

الحق في نهاية المطاف . هذا فلم تفلح أسلحة المنافقين الفتاكة في خلق إشاعة كاذبة حول هؤلاء الصحابة الكرام ، فهي إشاعات كاذبة بلا براهين أو دليل واضح ، كانت تهدف إلى تحطيم بنية الإسلام وتماسكه . إلا أنها باءت بالفشل الذريع.

فنحن نعيش في الوطن العربي حالة من حرب ثقافية، وسياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية تستهدف وجودنا وحاضرنا ومستقبلنا، وتدمير أخلاقيتنا ومثلنا، وتغريبنا عن هويتنا وتراثنا، وقطع كافة الجذور والأواصر التي تربط بعضنا ببعض، وتشدنا جميعاً إلى أمه حضارية معطاء. إنها حرب هادئة لا يرافقها دوي المدافع، ولكنها لا تقل ضراوة عن حرب الدبابات والطائرات... إنها آيدز يصيب الأمة أفراداً وجماعات وحكومات إذا ما استفحل حالها- بفقدان المناعة فيسهل على الطامحين بها تفكيكها، وتذويبها وابتلاعها، والتمدد في أرضها ونهب ثرواتها، وإذ نتناول هذه الحرب الشائكة، والمعقدة، والتي تشكل الإشاعة إحدى مفرزاتها، وأخطر أسلحتها، كما استطعنا كشفها وتبيانها من موقع الغيرية الوطنية، ومن خلال ثوابت وأحداث ووقائع نعيشها معاً في أرجاء الوطن العربي الكبير، مما نضعه بين يديك، موثقاً فما ذلك بغرض التهويل والترهيب، بل من أجل الارتقاء إلى مستوى

المسؤولية، وتحصين أنفسنا وناشئتنا في مواجهة وباء فتاك، قبل أن يستشري في أوصال الجسد العربي، وجلاء الشك باليقين. وكلنا ثقة بأن إنساننا العربي، الذي ما زال يعيش على أرضه العربية، ويتشبث بترابها كما بأمجادها، ويتنفس عبق عروبتها، وشذى تراثها، قادر على مواجهة كافة التحديات والانتصار على كافة المحن، لأنه يمتلك من الأصالة والصلابة التي تجذرت عبر تاريخ موغل في القدم، كما يملك من بُعد النظر، ووضوح الرؤيا السليمة، ما يمكنه من تمييز الخبيث من الطيب من القول، والعمل.

لأننا نشعر بأنه ليس من السهولة بمكان السير في هذا الجانب المبهر المظلم في آنٍ واحد، وسط سيل من الأحداث والوقائع والمتغيرات التي تتبدل بسرعة مذهلة، قبل أن يجف مداد كتابتها على الورق، وإيصالها إلى القارئ العربي، وما الكمال إلا لله وحده، عليه توكلت وإليه أنيب وبه المستعان، والـلـه من وراء القصد.



الخلاصة :

أمتنا العربية كانت منذ القدم بمثابة الأم لكافة الأمم ولا تتوافق كلمة "أم" وكلمة "أمة" لفظاً ومضموناً سوى في اللغة العربية دون سواها؛ لأنها فعلاً بمثابة الأم لكافة الشعوب والأمم التي تفرعت منها حيث أن الحياة على الأرض عندما وجدت الأول كانت في هذه الأرض التي تشكل الوطن العربي، لأن الجليديات كانت تشغل مساحة كبيرة من العالم في الشمال والجنوب مما آثاره باقية حتى اليوم في القطبين المتجمدين الشمالي والجنوبي.

لذلك كانت ثقافتنا وما زالت ذات مضمون حضاري إنساني، لم تعرف شيئاً من تلك المذاهب العنصرية والاستعمارية التي نشأت في الغرب من فاشية ونازية وصهيونية إجرامية حاقدة.

ثقافتنا تفاعلت مع كافة ثقافات الأمم والشعوب تفاعلاً حضارياً خلاقاً.. أخذنا من غيرنا ولكن أعطينا لغيرنا أكثر مما أخذنا بكثير والثقافة العربية في العصور الوسطى كانت هي السائدة وكانت هي الأساس التي بنيت عليها الحضارة والمدنية الإنسانية المعاصرة بما فيها من علم وفكر وتراث وإبداع.

القرآن الكريم وهو فخر ثقافتنا العربية، والإنسانية، تميز بطابعه الإنساني وشموليته لكافة بني البشر دون تمييز - مما لم تعرف أية ثقافة أممية أخرى .

للإعلام تأثير كبير وخطير على أنماط السلوك وطرائق التفكير، ولا سيما القنوات التلفازية الفضائية والإنترنت، وهذا التأثير قد يكون سلبياً فيسهم في ذوباننا في الآخر، وفي إعدادنا تمام الإعداد لقبول العولمة والتسليم بها كحقيقة مسلم بها، وهذا ما تعمل عليه للآسف أغلب وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي، من صحف ومجلات، وقنوات فضائية، ومواقع للإنترنت عربية وأجنبية، وأفلام سينمائية.

ومنها ما يكون إيجابياً في تصحيح كثير من المفاهيم، وأنماط السلوك وطرائق التفكير، للحفاظ على هويتنا الإسلامية، ولتكوين رأي عام سليم تجاه قضايا الأمة، والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت التي تسعى لتحقيق هذه الأهداف قليلة قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين، في حين نجد الأخرى قد يصل عددها إلى المئة، إضافة إلى القنوات الأجنبية التي تبلغ المئات، وممَّا يؤسف له حقاً ما تقوم به بعض الشبكات التلفازية العربية المتخصصة من شراء مواد سينمائية من بعض القنوات الأمريكية والأوربية التي تبث أفلام الرعب أو الأفلام الإباحية التي تؤثر سلباً على سلوك وأخلاقيات أولادنا، وهذه الأفلام في الغالب يقوم على إنتاجها وتمويلها اليهود الصهاينة الذين يمتلكون معظم شركات إنتاج الأفلام الأمريكية؛ إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أنَّ أكثر من

90% من العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي إنتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً هم من اليهود، وقالت صحيفة " الأخبار المسيحية الحرة " عام 1938م عن سيطرة الصهيونية على صناعة السينما الأمريكية : "إنَّ صناعة السينما في أمريكا يهودية بأكملها، يتحكم فيها اليهود دون أن ينازعهم فيها أحد، ويطردون منها كل من لا ينتمي إليهم أو لا يصانعهم، وجميع العاملين فيها إمَّا من اليهود أو من صنائعهم، ولقد أصبحت هوليود بسببهم سدود العصر الحديث حيث تنحر الفضيلة، وتنشر الرذيلة، وتسترخص الأعراض، وتنهب الأموال دون رادع أو وازع، وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم ونشر مخططهم الإجرامي تحت ستائر خادعة كاذبة، وبهذه الأساليب القذرة أفسدوا الأخلاق في البلاد، وقضوا على مشاعر الرجولة والإحساس، وعلى المُثل للأجيال الأمريكية"، وختمت الصحيفة قولها: "أوقفوا هذه الصناعة المجرمة لأنَّها أضحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعايتهم المضللة الفاسدة".

كما يمتلك اليهود الصهاينة كبرى شبكات التلفاز العالمية، فبشراء عروض القنوات الأجنبية، والتنافس فيما بينها على ذلك فيه ترويج للفكر الصهيوني وتحقيق أهدافه، وفيه دعم مادي لها.

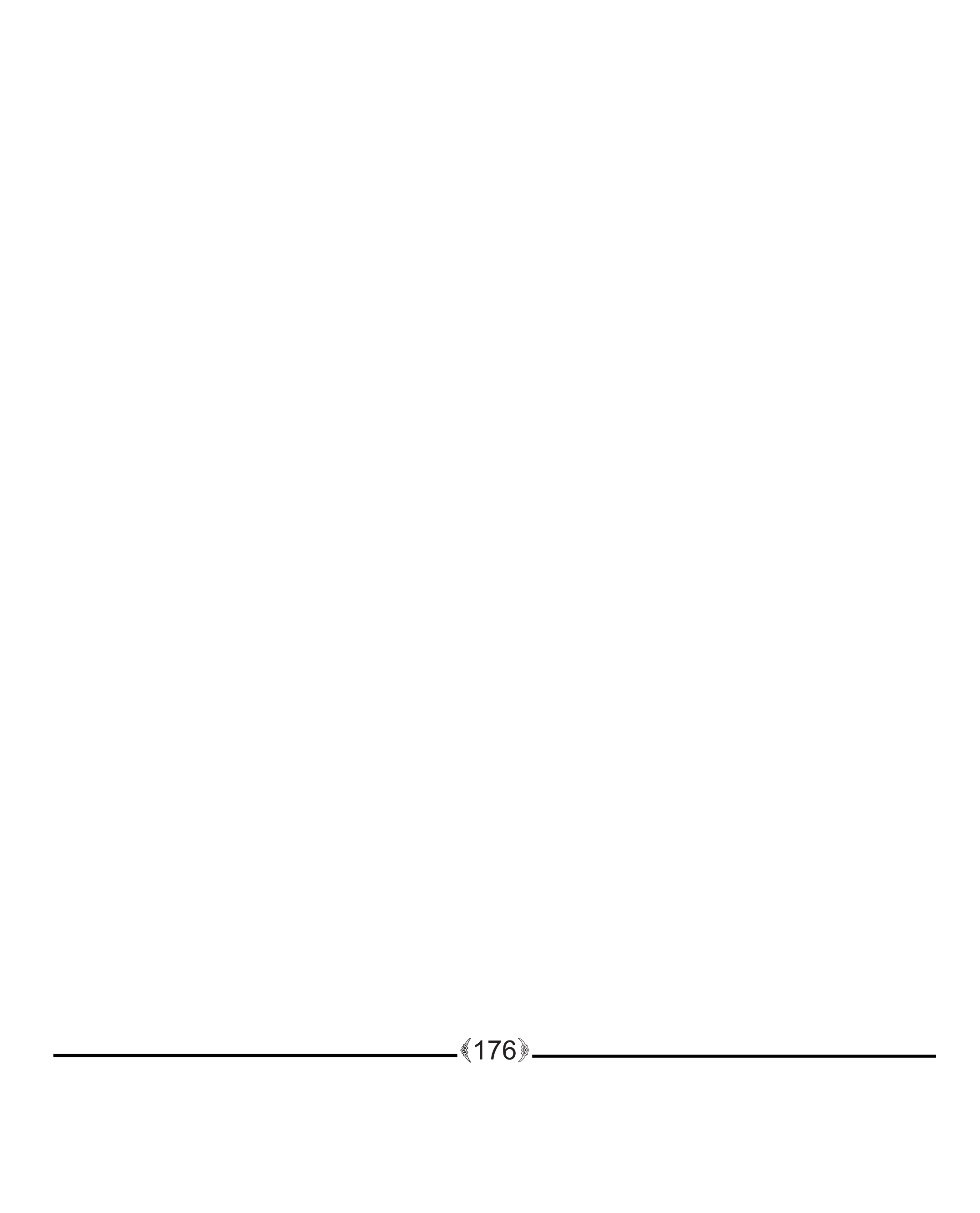
وهم يسيطرون أيضاً على كثير من وكالات الأنباء العالمية، ومركز المعلومات، ويمتلكون أدوات متقدمة في صناعة الإعلام وفنونه؛ إذ يمتلك الصهاينة أربع وكالات أنباء عالمية من خمس، كوكالة رويتر البريطانية، والأسوشيتد برس واليونايتد برس الأمريكيتيْن، ووكالة هافاس الفرنسية، وهذا يعني أن الذي يتحكم في صياغة وصناعة الخبر هم اليهود الصهاينة، وإعلامنا في عالميْنا العربي والإسلامي للأسف الشديد يتلقى هذه الأخبار من هذه الوكالات.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يتسنى للإعلام في العالم الإسلامي أن يتغلب على إعلامٍ هذه قوته؟

للأسف الشديد؛ فإننا نفتقر إلى إعلام إسلامي بما تحمله هذه الكلمة من معنى، فنحن لا نستطيع أن نعتبر إعلامنا إسلامياً من خلال بعض القنوات الفضائية المحدودة، أو من خلال بعض المجلات الإسلامية، وبعض مواقع الإنترنت الإسلامية، فهذه لا تشكل شيئاً يذكر أمام مئات الصحف والمجلات وعشرات القنوات ومواقع الشبكة العنكبوتية التي تسير في فلك الصهيونية والغرب، وتسهم في تقديم كل ما من شأنه نشر الفساد والانحلال، والسير على نمط السلوك الغربي، وطرز الحياة الغربية، والتي تسلط الأضواء من خلال برامجها على من يتبنون الفكر الغربي بكل ما فيه من إباحية وإلحاد، وجعلت منهم

رموزاً أدبية وفكرية لهذه الأمة، ومنحتهم الجوائز والأوسمة في حين نجدها همَّشت حملة الفكر الإسلامي، وعتَّمت عليهم، وأغلقت أبوابها في وجوههم. قد يقول البعض إنَّ هناك مفكرين إسلاميين تسلط عليهم الأضواء، وأقول هنا إنَّهم قلة قلية لا تشكل حقيقة عدد مفكري الأمة وعلمائها، وتسلط الأضواء على هؤلاء حتى لا يوجه إليها نقد بعدم تقديمها لعلماء ومفكرين إسلاميين، وللطلب الملّح من القراء والمشاهدين والمستمعين لمعرفة موقف الدين من قضايا العصر، وممّا يواجههم من مشاكل، فللأسف الشديد أنَّ أغلب القائمين على الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي بجميع وسائله من ذوي الفكر العلماني، لذا فهم يروجون لمن يوافق أهواءاهم وتوجهاتهم الفكرية.

فنحن لا نستطيع التغلب على الحملات الصهيونية والغربية الموجهة الآن بضراوة ضد الإسلام والمسلمين، ومحاربة كل ما هو إسلامي في أي مكان في العالم إلاَّ إذا جعلنا القيادات الإعلامية في عالمنا العربي والإسلامي من الوسطيين من حملة الفكر الإسلامي،عندئذ نستطيع القول إنَّ لدينا إعلاماً إسلامياً.



المصادر والمراجع

المراجع العربية والمترجمة :

- إبراهيم ، أسامة عبد المنعم علي ، حصر ومكافحة غسل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب ، القاهرة ، ط1 ، المركز القـــــومي للإصدارات القانـــونية،2009م.
- الإبراهيم ، حسن ، الدول الصغيرة والنظام الدولي ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، 1982م.
- أبو زهرة ، محمد ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، الكويت ، ط2 ، دار البحوث العلمية ، 1979م.
- إسماعيل ، زكى محمد ، نحو علم اجتماعى إسلامي ' الإسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، 1989م.
- إسماعيل ، فضل الـلـه محمد ، فلسفة السياسة ، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة ، 2008م.
- أمين ، بكري شيخ ، التعبيرالفني في القرآن ، بيروت ، دار الشؤون للنشروالتوزيع ، 1986م.
- أمين ، سامر الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين " مفتاح الحرب والسلام "، عمان ، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع ، 2006م.

- أنيس ، إبراهيم وآخرون- المعجم الوسيط ، بيروت ، ط2، دار احياء التراث العربي ، بدون تاريخ .
- أيوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الاسلام ، الكويت ، ط2 ، دار البحوث العلمية ، 1979م.
- بدر ، أحمد ، الإعلام الدولي ، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ، القاهرة ، بدون دار نشر ، 1977م.
- البدري ، جمال شاكر ، التشيع والعولمة ، رؤية في الماضي والمستقبل ، دمشق ، ط1 ، دار صفحات للدراسات والنشر ،2007م.
- بدوى ، ثروت ، أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1970م.
- بدوي، محمد طه، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، بيروت، دار النهضة العربية، 1972م.
- براد بيري، راي، المسمار الأخير في نعش بوش الابــن (فهرنهيت 451)، القاهرة، بدون دار نشر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2004م.
- بريجنسكي ، زبغنيو ، رقعة الشطرنج الكبرى ، عمان ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، ترجمة أمل الشرقي، 1999م.
- البوطي ، محمد سعيد ، فقه السيرة النبوية (مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة)، بيروت ،ط1، دار الفكر المعاصر ، 1991م.

- بيومي ، زكريا سليمان، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين – دراسة تاريخية في فكر الشيخ محمد عبده ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1988م.
- جاد ، سهير ، البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1987م.
- جودة ، محمد أحمد ، اليهود والمسيحيون والرومان وتدمير هيكل سليمان ، الإسكندرية ، المكتب العربي الحديث ، بدون تاريخ .
- جيبون ، إدوار ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج1 ، القاهرة ،ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ترجمة محمد علي أبودرة ، 1997م.
- حتي، ناصيف، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م.
- حسن ، إبراهيم ، صفحات من تاريخ مصر (تاريخ عمرو بن العاص)، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1996م.
- حشيمة ، سامر محي الدين، الأمير بهاء الدين قراقوش الأمير المفترى عليه رداً على ابن مماتي في كتابه الموضوع الفاشوش في أحكام قراقوش، عمان ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، 2004م.

- حمزة ، عبد اللطيف ، الفاشوش في أحكام قراقــوش لابن مماتي ، القاهرة ، ط1 ،أخبار اليوم ، بدون تاريخ .
- حمودة، منتصر سعيد، الإرهاب، دراسة فقهية في التشريع الجنائي الإسلامي، الإسكندرية، ط1، دار الجامعة الجديدة، 2008م.
- الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، القاهرة، ط 3 ، مكتبة مدبولي، 2005م.
- حوات ، محمد علي ، العرب والعولمة (شجون الحاضر وغمـــوض المستقبل) ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2002م.
- الحيدان، عبد اللـه بن فهد، المسلمون وتحديات العصر، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، 2006م.
- الخليفة، حامد محمد، الموقف من الشبهات على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عمان، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، 2009م.
- الخليفة، حامد محمد، أخلاق وآداب الحرب في عصر الرسول (ص) ، عمان، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، 2009م.
- خليل ، بكري محمد ، الفكر القومي وقضايا التجدد الحضاري ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 20004 م.
- خليل، خليل أحمد، العرب والقيادة، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.

- خليل، محمد بيومي، انحرافات الشباب في عصر العولمة، ج1، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.
- دالرر، أيفو، وآخرون، هلال الأزمات (الإستراتيجية الأمريكية- الأوروبية حيال الشرق الأوسط الكبير)، بيروت، الدار العربية للعلوم – ناشرون، ترجمة حسّان البستاني، 2006م.
- درويش ، إبراهيم ، النظرية السياسية في العصر الذهبي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 1973م.
- الدوري ، عبد العزيز ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1960م.
- رشتى، جيهان، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985م.
- رشوان ، حسن عبد الحميد ، الأسرة والمجتمع " دراسة في علم اجتماع الأسرة ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 2003م.
- رنسينان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ، دار الثقافة ، ط2، ترجمة السيد الباز العريني ، 1981م.
- الزحيلى ، وهبه ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دمشق ، ط1 ، ج3 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، 1985م.

- زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ، دار الهلال للنشر والتوزيع ، 1975م.
- سابق، السيد، عناصر القوة في الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، 1986م.
- سعيد ، عبد المنعم ، العرب ومستقبل النظام العالمي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1987م.
- سليمان ، ميخائيل ، صورة العرب في عقول الأمريكيين ، بيروت ،ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، 1987م.
- سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، القاهرة ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1992م.
- شحاته ، عبد اللـه ، المرأة في الإسلام بين الحاضر والماضي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1984م.
- شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، القاهرة، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
- شكري ، علياء ، الإتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة ، القاهرة ، دار المعارف ، 1972م.
- الشكعة ، مصطفى ، اسلام بلا مذاهب ، بدون دار نشر ، ط 2، 2008م.

- شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة ، بيروت ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1972م.
- شندلر ، كولن ، اسرائيل والليكود والحلم الصهيوني ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1997م.
- شوقي، عبد المنعم، مبادئ تنمية المجتمع، القاهرة، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
- الشيباني ، عمر التومى ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1975م.
- طباره ، عفيف عبد الفتاح ، روح الدين الإسلامي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1973م.
- طعيمة، صابر، الغلو والفرق الغالية بين الإسلاميين في ضوء عقيدة السلف، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، 2009م.
- عبد الحميد ، سعد زغلول ، في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار النهضة العربية، 1976م.
- عبد الدائم، عبد الـلـه، الثورة التكنولوجية في التربية العربية، بيروت، ط3، دار العلم للملايين، 1981م.
- عبد الر حيم ، إكرام ، التحديات المستقبلية للتكتل الإقتصـادي العربي ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2002م.

- عبد المطلب، إيهاب، جرائم الإرهاب خارجياً وداخلياً، القاهرة، ط1، المركز القومي للإصدارات القانونية،2009م.
- عثمان ، إبراهيم ، العلاقات الدولية المعاصرة "الأسس النظرية واقع الممارسة مشارف المستقبل ،الرياض ، ط1 ، دار العلـــــوم للطباعــة والنشر ،1990م.
- عزيز ، سامي ، الصحافة مسئولية وسلطة ، القاهرة ، دار التعاون للطباعة والنشر ، 1981م .
- عليوة ، السيد ، استراتيجية الإعلام العربي ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، 1990م.
- العيسوي ، عبد الفتاح محمد ، فلسفة الإسلام في بناء الأسرة القوية، الإسكندرية ، المكتب العربي الحديث ، 2006م.
- فلاتة، مصطفى محمد عيسى، الإذاعة السمعية وسيلة اتصال وتعليم، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود 1997م.
- فؤاد ، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان ، 1997م.
- قرقوط، تاريخ الأمة العربية الحديث، (المشروع القومي الذي لم يتم). القاهرة، مكتبة مدبولي، 2005م.

- كامل ، عمر عبد اللـه ، الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة (محاولة للتقريب بين أهل السنة والشيعة وفقاً للأسس العلمية) ، عمان، ط1 ، دار البيارق للنشر والتوزيع ، 2001م.
- الماقورى ، سالم أحمد ، المثل الأعلى للمجتمع الإنساني ، طرابلس، دار أقرأ للطباعة والترجمة واالنشر والخدمات الإعلامية ، بدون تاريخ.
- محمد، إسماعيل، علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1980م.
- مطر، عصام عبد الفتاح، الجريمة الإرهابية، الإسكندرية، ط1، دار الجامعة الجديدة،2008م.
- المطعني،عبد العظيم ، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية ، القاهرة ،دار المعارف ، بدون تاريخ .
- منصور، بلقيس، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، القاهرة، ط1، مكتبة مدبولي، 2004م.
- منصور، خيري، الإستشراق والوعي السالب، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2009م.
- المنوفي، محمود أبو الفيض، الفلسفة الشرقية، القاهرة، مكتبة الأنجلوا المصرية، 1938م.

- منير، وليد، النص القرآني من الجملة إلى العالم، القاهرة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.
- مهنا ، محمد نصر ، العلوم السياسية بين الحداثة والمعاصرة ، الإسكندرية، منشأة المعارف ، 2002م.
- مهنا ، محمد نصر ، الفتوحات الإسلامية والعــلاقات السياسية في آسيا ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، 2008م.
- النبراوي، فتحية، الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2008م.
- النجار، عبد الوهاب ، قصص الأنبياء ،بيروت ، ط2 ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .
- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، 1996م.
- نسيب ، أملين ، نوادر قراقوش وأبي العفياء وطرائفهما ،بيروت ، ط1 ، دار العلم للملايين ، 1994 م.
- نوار ، عبد العزيز سليمان ، الشعوب الإسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1973م.
- نوار، صلاح نوار محمد، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2008م.

▪ نوار، صلاح نوار محمد، قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 2005م.

▪ هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، القاهرة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م.

▪ وافى ، علي عبد الواحد ، عوامل التربية ، القاهرة ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1980م.

المراجع التراثية :

- صفة الصفوة ، ابن الجوزي – تحقيق محمد محمود اسماعيل – بيروت ، دار الخلفاء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1995م.

- تهذيب سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، تهذيب أحمد فايز الحمصي –بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1999م.

- بستان الواعظين ورياض السامعين ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي – تحقيق جمال محمد شرف – القاهرة ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، 2004م.

- معجم البلدان ، للإمام شهاب الدين أبي عبد الـلـه ياقوت بن عبد الـلـه الحموي الرومي البغدادي – تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي – بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ط 4 ، 1988م.

- العقوبات " العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم " – أبي بكر عبد الـلـه بن محمد ابن أبي الدنيا – تحقيق محمد خير رمضان يوسف – بيروت ،دار ابن حزم ،ط1 ، 1996م.

- الكشكول – محمد بهاء الدين العاملي – بيروت ، دار الكتب اللبنـــانى، ط1 ،1983م.

- مكارم الأخلاق – الإمام أبي بكر عبد الـلـه بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي – تحقيق بشير محمد عيون – دمشق ، مكتبة دار البيان ، ط1 2002م.

- كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – تحقيق زهير شفيق الكبي – بيروت ، دار الكتاب العربي ،ط1 ، 1990م.

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة – القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي – تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان – دمشق ،منشورات وزارة الثقافة ، 2001م.

- نثر الدر- أبي سعد منصور بن الحسين الآبي – تحقيق مظهــر الحجي – دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1997م.

تم بحمد الـلـه

الفهرس

الفصل الأول

الإعلام

الفصل الثاني:

الإفتراءات في التاريخ على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

الفصل الثالث

الإفتراءات في زمن الصحابة رضوان اللـه عليهم

الفصل الرابع

الافتراءات حول الأمير